لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا

إبهار للنشر والتوزيع

مبادرة كيانك

E.mail;EBHARPUPLISHING@GMAIL.COM

MOBILE: 01060267401

رواية: لتسكنوا إليها

اسم المؤلف: سامية عبد الفتاح

تدقيق لغوي: مها أحمد

تصميم الغلاف: محمد دربالة

تنسيق داخلي: أسماء عطا

رقم الإيداع: ٢٠٩٨١/ ٢٠٢٠

الترقيم الدولي: ٩٧٨٩٧٧٨٤٤١٦٢٨

جميع الحقوق محفوظة للناشر

وأي اقتباس أو تقليد، أو إعادة طبع أو نشر دون موافقة كتابية يعرض صاحبه للمساءلة القانونية والآراء والمادة الواردة .وحقوق الملكية الفكرية بالكتاب خاصة بالكاتب فقط لا غير

سامية عبد الفتاح

لتسكنوا إليها

رواية

الطبعة الأولى ٢٠٢١

إبهار للنشر والتوزيع

مبادرة كيانك

إهداء

إلى كل الفتياتِ اللاتي لم يجدن الحب في أي مكانٍ، ستجدنه بين هذه السطور مخفيًا داخل الكلمات.

المقدمة

لكل ابن آدم نصيبه من الحب، ستجد نصفك الآخر وإن كنت على قمة جبلٍ جليدي لم يصل له غيرك، ولو كنت في العالم وحدك؛ لأن الله يرتب كل شيء منذ البداية حتى قبل اللقاء الأول.

هل تعرف الحب من النظرة الأولى؟ ذلك الذي تتفاخر به ناويًا إخبار أبناءك وأحفادك عنه. هو في الواقع ليس حبًا من أول نظرة بل أمر الله الذي نفذ لقلبك لتقع صريع قدره، فلا تتفلسف علينا أكرمك الله؛ لأنك لم تبذل أي جهدٍ.

***

هل هناك أي شيءٍ أجمل في هذه الحياة من شابٍ وفتاةٍ يرتبطان ببعضهما بيدين متشابكتين، وقلبين طاهرين في لحظة إتمام الزواج؟! هل يمكن أن يكون هناك شيء أروع من الحب في الشباب؟!" والإجابة هي: " نعم، هناك شيءٌ أجمل، إنه مشهد رجلٍ عجوزٍ وامرأة عجوز ينهيان رحلتهما في الحياة معًا. أيديهما بارزة العظام ولكنها لا تزال متشابكة؛ ووجهاهما مجعدان لكنهما لا يزالان مشرقين، وقلباهما ضعيفان ومنهكان بدنيًا، ولكنهما لا يزالان قويين

بالحب والإخلاص لأحدهما الآخر. نعم هناك أروع من الحب في الشباب، إنه الحب في الهِرَم.

(أيه. إل. ألكساندر)

ما قبل البداية

في أحد غرف المشفى الخاص الذي كلف (سيف) الكثير من النقود جلس بجانب زوجته النائمة على فراش المرض أو ربما فراش الموت.

نظر لها بعيونه التي ذبلت من الحزن والتقدم في العمر ليتأمل رفيقة دَرْبه ونصفه الثاني؛ زوجته التي قضى معها أكثر من أربعين عامًا حدث بهم الكثير.

-سيف.

نداؤها الخافت المرهق آلم قلبه، فأجابها بحشرجةٍ:

-ماذا يا غالية؟

-لماذا لم تعد للبيت؟ الجو هنا بارد.

-لا بأس، أنا مرتاح هكذا.

قالها بهدوء لتتنهد هي قائلةً:

-لولا معرفتي أن الأولاد مشغولون كنت سأطلب من أحدهم البقاء معي، حتى تعود أنت للمنزل وترتاح قليلًا.

زفر بضيقٍ رغمًا عنه قائلًا:

-ماذا سأفعل بمفردي في المنزل يا ناردين؟

امتدت يدها المجعدة بارتعاشٍ نحو يده تمسك بها بضعفٍ مشفقةً عليه، تعرف أنه خائفٌ حد الموت - من أن تموت وتتركه بمفرده- (سيف) لن يستطع العيش من دونها بعد أن بقت معه كل هذه السنوات، خاصةً وقد أوشك على الدخول في العقد السابع وبدأ الضعف يسيطر عليه.

-أتذكر أول مرة تقابلنا بها؟

سألت لتبدد الأجواء الكئيبة لتفر دمعة من عينه قائلًا:

-لا أذكرها.

قالها يغيظها فابتسمت بوهنٍ وقضيا الليل بتذكر حياتهما معًا، لم يكن هناك شيء آخر ليفعلاه على أي حالٍ سوى استعادة الذكرى والخوف من القادم.

***

الفصل الأول

قبل أكثر من أربعين عامًا.

-حتى الكلب وجد من يحبه وأنا لا، هل أنا بائسة لتلك الدرجة؟

سألت (ناردين) صديقتها بقهرٍ مصطنع وهي تعطيها الهاتف لتشاهد حفل زفاف كلب في الغرب وهناك الكثير من الحضور.

-أنتِ لستِ بائسة، بل متكبرة عنيدة لا تعطين أحد فرصة.

قالتها (جوان) بغيظٍ لتنتهد (ناردين) قائلةً بيأسٍ:

-لا أجد أي شاب حتى لأعطيه الفرصة.

ضربت صديقتها كفًا بكف هاتفة باستنكارٍ:

-لا تجدين شابًا؟! لا يوجد أكثر منهم، ولكن أنتِ مَن ترفضين الدخول في أي علاقة.

-هل تريدين مني أن أنحرف؟ أم ماذا؟

سألت (ناردين) بغيظٍ لتجيبها صديقتها بصبرٍ:

-لم أقل هذا، ولكن أريدك أن تكوني أقل حدة في التعامل مع الشباب؛ فهم لن يأكلوكِ إن كنتِ لطيفة معهم.

-أنا لطيفة مع الجميع لا تفترين عليّ.

قالتها بغضبٍ لترفع (جوان) حاجبها قائلةً بواقعية:

-بل أنتِ جلفة عديمة اللطف، ألا تذكرين ذلك الشاب الذي تناقش معكِ في التعليقات حول أحداث رواية ما لتنهي الأمر معه بالحظر بعد أن تجرأ ودخل ليحدثك بشكلٍ خاص، أين الجريمة التي ارتكبها؟ لقد كان هناك توافق فكري بينكما.

-لا أكره أكثر من هذا النوع من الشباب؛ هل معنى أنني تناقشت معه أن نصبح أصدقاء تبًا لوقاحته.

قالتها بقرفٍ لتهتف بها صديقتها بدهشةٍ:

-لقد أرسل لكِ رسالة يقول بها مرحبًا آنستي، ولم يقل أريد رقم هاتفك.

نظرت لها (ناردين) للحظات قبل أن تقول ضاحكةً بيأسٍ:

-لقد كان رائع حقًا في مناقشته، أعترف بهذا.

رفعت صديقتها يدها وهزت رأسها بمعنى هل رأيتِ؟! فأكملت (ناردين) حديثها قائلةً بجدية:

-لن أدخل في أي علاقة ضد أخلاقي ومبادئي يا جوان، أنا لستُ من هذا النوع.

-قابلي المتقدمين لطلب الزواج منكِ إذن.

قالتها (جوان) بقلة صبرٍ، فهتفت (ناردين) باستنكارٍ:

-بالطبع لن أتزوج بهذه الطريقة. هل جننتِ؟

-وكيف ستتزوجين إن كنتِ ترفضين الحديث مع أي شخصٍ من الجنس الآخر؟ وترفضين مقابلة أي عريسٍ؟

-سأتزوج عن حب، أنا متأكدة ولكني لا أعرف كيف سيحدث هذا؟!

قالتها بثقةٍ لتنظر لها صديقتها للحظاتٍ قبل أن تنهض تاركةً إياها بمفردها في هذا المقهى الذي تجلسان به دائمًا وغادرت غير مبالية بنداء (ناردين) مطلقًا؛ فقد طفح الكيل.

نظرت (ناردين) حولها بغضبٍ من تصرف صديقتها الوقح لتصطدم عيناها بفتاةٍ تجلس ملتصقةً بشابٍ ويتهامسان بشكلٍ جعلها ترغب بصفعهما علَّ هذا يساعدهما على الاستفاقة من هذه الحالمية المقززة.

-أين أهالي هؤلاء الفتيات بحق الله؟

سألت نفسها بقرفٍ قبل أن تنهض مغادرةً المقهى ملقيةً نظرة غِلٍّ عليهما جعلتهما ينظران لها بتوجس.

***

استلقى (سيف) على الأريكة في غرفة المعيشة بمنزله يمسك بجهاز التحكم الخاص بالتلفاز يقلب في القنوات بعيون شبه مغلقة راغبًا في النوم بشدة، ولكنه يجاهد نفسه حتى لا يفعل لن يصبح كالدجاجة التي تنام من بعد آذان العشاء، بينما يسمع حديث والدته التي تقنعه بالزواج محاولةً معه للمرة التي لا يعرف عددها، هل عليه أن يتزوج فقط لأنه أصبح في السابعة والعشرين من عمره؟ ماذا بها تلك السنوات القليلة التي عاشها؟! رقم رائع والله ويحبه، ولكن والدته لا تفعل كما يبدو فهو أصبح من وجهة نظرها (عانس) يخبرها دومًا أن كلمة عانس تلك تطلق على الفتيات وليس الشباب ولكنها لا تقتنع أبدًا.

لماذا عليه أن يرتبط بفتاةٍ لا يعرف عنها شيئًا؛ يعطيها نقوده، يعطيها الحق بأخذ قراراته، ويجعلها تحرمه من متع الحياة التي يحصل عليها وهو أعزب.

-ألا تشعر بالغيرة من أصدقائك المتزوجين؟ أنت تحضر حفلات زفافهم كل أسبوع.

قالتها والدته الجالسة على المقعد الذي يجاوره بحنقٍ، فأجابها ببساطة:

-إنهم مغفلون أمي، سيندمون فيما بعد ويأتون ليقبلوا رأسي طالبين البركة.

نظرت له والدته بغيظٍ ثم صرخت به بنفاد صبرٍ:

-اعتدل أولًا؛ حتى نتحدث بشكلٍ لائق.

نهض رغمًا عنه ليجلس باعتدالٍ قائلًا بصبرٍ:

-ماذا تريدين يا حبيبتي؟! هذه البداية ليس وراءها خيرٌ أنا أعلم.

راقب نظرات التوتر الواضحة على وجه والدته والحماس المرسوم على وجه شقيقتيه اللتين تجلسان معهما.

-لقد تحدثت مع خالتك رِهام اليوم في الهاتف.

قالتها والدته ليرفع هو حاجبه قائلًا بسخرية:

-يا لها من معلومة مهمة حقًا! ماذا بها خالتي رِهام هل هناك مشكلة؟

-ليست هي من لديها مشكلة بل جارتها.

قالتها شقيقته بلهفة فالتفت إليها قائلًا بدهشةٍ مصطنعة:

-ما شاء الله المشكلة لدى جارتها! ماذا حدث هل طلقها زوجها ثلاث ويريدون محلل؟ ليس لدي مانع.

نهضت والدته لتقف أمامه فوقفت الفتاتان أيضًا، وأصبح محاصر من ثلاث جهاتٍ، مما جعله يتوجس وهو يدرك أن الآتي لن يعجبه أبدًا، وسيحارب أعزل ضد جيش لديه كل وسائل الحرب.

-لقد حددت موعدًا مع خالتك رِهام من أجل أن نذهب لرؤية جارتها التي ستخطبها.

اتسعت عيناه بصدمة؛ فهو لم يظن أبدًا أن والدته ستجرؤ على اتخاذ خطوة كتلك دون الرجوع إليه، ولكن والدته لم تعِر صدمته أي اهتمامٍ وغادرت ومعها حلفاؤها تاركينه كالأبله بمفرده.

***

دخلت الحمام لتغسل يديها بعد أن تناولت الغداء مع عائلتها لتسمع صوت والدها يأتيها من غرفة المعيشة قائلًا:

-ناردين، حبيبتي، تعالي، أريدك في أمرٍ مهم.

خرجت من الحمام قائلةً بصوتٍ عالٍ حتى يسمعها:

-سأسكب الشاي وآتي أبي.

أتت إليها والدتها لتقول بابتسامةٍ واسعة:

-سأسكبه أنا حبيبتي، اذهبي لوالدك.

كلمة (حبيبتي) مرتين وخلال دقيقة واحدة شيء مريب حقًا في هذا البيت، تحركت متوجسة لغرفة المعيشة لتجد والدتها خلفها ولم تذهب لتسكب الشاي، فتعالت صيحة ساخرة بداخلها (يا ستار).

جلست بجانب والدها ليبتسم لها ابتسامة غير مريحة أبدًا فسألته بحاجب مرفوع:

-ماذا هناك؟

-كم عمرك الآن يا ناردين؟!

ها قد بدأت اللعبة ووالدها الذي يحفظ عمرها أكثر من عمره يأتي ليسألها عنه بطريقة عفوية وكأنها ليست طفلته الأولى، لم تسيء الظن به وأجابت بهدوءٍ ساخر:

-أنا في الخامسة والعشرين يا حاج، أدعو لي بطول العمر.

-ألم تنهي دراستك وكل الدورات التدريبية؟

سألها باستفسارٍ رغم علمه بالإجابة ولكنها ردت بصبرٍ:

-نعم، يا أبي، أنهيتهم.

-ألم تجدي العمل المناسب واستقررتِ به؟

لم ترد هذه المرة بل ضيقت عينيها ناظرة لوالدتها المبتسمة ووالدها الجاد، منتظرة معرفة نهاية هذا الحديث الرائع الذي لا يفتحه والدها إلا في حالة واحدة.

-يا ابنتي، لقد أصبحتِ جاهزة للزواج الآن ولا يوجد داعٍ لتأخير الأمر أكثر من هذا كما أظن.

قالها والدها بجدية فأغمضت عينيها للحظات حتى لا تنفعل، ماذا يقصد بأنها أصبحت جاهزة للزواج؟ هل يظنها نعجة؟

-هناك رجلٌ تقدم لخطبتك، وأنا أراه مناسبًا لكِ جدًا، لماذا لا تعطين نفسك فرصة وتقابلينه؟

قالها والدها برجاءٍ فهتفت بقهرٍ:

-أبي أنت تعلم وجهة نظري تجاه هذا الأمر، أنا لن أتزوج بهذه الطريقة الرخيصة.

صرخ بها والدها قائلًا:

-لماذا تقولين هذا؟ هل تظنين أنني سأعرضك لأي إهانة؟!

نظرت له ببؤسٍ وأجابت برفضٍ للفكرة:

-أنا لستُ سلعةً أبي، حتى يأتي الرجال ليروني ثم يقرروا إن كانوا سيتكرمون ويوافقون عليّ أم لا؟!

-لماذا ترين الأمر بهذه الطريقة البشعة؟

سألت والدتها بدهشة لتجيبها هي والدموع تتجمع في عينيها رغمًا عنها:

-لأن هذه هي الحقيقة أمي، لمَ لا تتركون لي الفرصة لأتزوج بعد قصة حبٍ بدلًا من هذه الإهانة؟

-مرة أخرى تظن الأمر إهانة.

قالها والدها باستنكارٍ وهو يضرب كفًا بكفٍ قبل أن يكمل بجدية:

-يا حبيبة أبيكِ، الأمر ليس هكذا أبدًا، بل هي فرصة تعارف بينكما بشكلٍ أكثر تحفظًا من الخارج، حين يأتي ليراكِ بمنزل عائلتك ستكونين كالجوهرة الموجودة بمتحفها ولستِ شيئًا قابلًا للمس مثل

الجواهر الزائفة، سيأتي لتريه أنتِ وتقررين إن كان يعجبك أم لا؟ الزواج التقليدي ليس سيئًا بل إنه أكثر احترامًا وأسمى.

-إن كنت أنت وأمي تزوجتما بعد قصة حبٍ لماذا لا تعطيني نفس الفرصة؟

سألت صارخةً بقهر ليجيب أبيها بصبرٍ:

-لأن الحب في زمننا كان أكثر عفةً وأكبر معنى من الحب الآن، في وقتنا لم يكن مسموحًا بتلك اللمسات الوقحة ولا النظرات الخادشة للحياء، لم نكن نهرب لنرى بعضنا بعيدًا عن أنظار الأهل أو نفعل ما يغضب الله، لقد كنا نحب بعضنا بالطريقة الصحيحة محافظين على قلوبنا ومشاعرنا.

-ومن قال إنني سأتخطى الحدود مع من أحبه؟ لن أسمح لنفسي بهذا أبدًا يا أبي.

قالتها بحرارة ليهز والدها رأسه مصدقًا إياها قائلًا:

-أنا أعلم أخلاقك وتربيتك وأثق بكِ، ولكن إغراءات الحياة الآن ستُغرقك، والأوغاد أكثر من الرجال المحترمين في هذا الزمن كما أنكِ لستِ مرتبطة من الأساس، فلماذا كل هذا الرفض الآن؟!

لم تقتنع بأي كلمةٍ مما قالها بل سألت بجمودٍ:

-هل ستجبرني أبي؟!

-لا. يا ناردين لن أفعل.

قالها متنهدًا بقلة حيلة لتنهي هي الأمر تلقائيًا في عقلها، ولكن نظرة والدتها جعلتها تدرك أن الأمر لم ينته بعد.

***

بعد يومين:

من قال أن (الزن على الآذان أمَّر من السحر) كان عبقريًا؛ لابد أن يأخذ جائزة نوبل هذا الرجل ولا أعرف في أي مجالٍ سيأخذها ولكنه بالتأكيد يستحقها، لقد وصف أحد أهم قدرات الجنس البشري الخارقة ألا وهي "الزن"، تلك الخاصية التي يتمتع بها الكثيرون ويحصلون بها على ما يريدون في غمضة عينٍ.

-حسنًا، يا أمي، أنا موافقة، ارحميني أقبل يديكِ.

قالتها صارخةً بعنفٍ لتطلق والدتها زغرودة عالية، لتفعل شقيقتها المثل وحتى شقيقها الصغير أطلق زغرودة متخليًا عن وقاره الحديث.

-ما شاء الله، تبارك الله، شاب طول، وعرض، ووسامة.

قالتها والدتها بفخرٍ لتقول (ناردين) بنزقٍ:

-بربك أمي، أنتِ حتى لم تريه ولا تعرفي عنه شيئًا.

جلست والدتها بجانبها على السرير لتتحدث قائلةً بحماسٍ:

-بل أعرف الكثير؛ هل أخبرتك أنه صيدلي، ولديه صيدليته الخاصة؟ كما أنه يعمل بشركة أدوية أي أنه ميسور الحال.

لم ترد (ناردين) بل وضعت يدها في شعرها تتخلله بعنفٍ، هامسةً لنفسها أنها ستعاني من المزيد رغم موافقتها على مقابلة عريس الغفلة.

-ولديه شقة ملكه، أي أنكم لن تضطرا لدفع إيجارٍ في المستقبل.

-يالا سعادتي!!

قالتها ضاحكةً بتهكم لتمسك والدتها يدها قائلةً بلهفةٍ:

-ولديه سيارة أيضًا هل تصدقين هذا؟

نظرت (ناردين) لها بذهولٍ لتتحدث بدهشةٍ قائلةً:

-هل نحن فقراء يا أمي؟!! لماذا كل هذا الانبهار من أجل أشياء عادية؟! نحن لدينا منزلٌ كامل ملكنا وسيارتان، وجميعنا نعمل، إذن هذه ليست مميزات أبدًا.

حركت والدتها شفتيها قائلةً بعدم رضا:

-ما كل هذا الغباء يا فتاة؟! الشباب هذه الأيام لا يمكنهم الحصول على كل هذا، احمدي ربك لأن زوجك رجل مقتدر.

-زوجي؟!!!!!!!!!

سألت مصعوقة من قفزة والدتها بالحديث والتي توشك على اختيار أسماء أحفادها الآن.

-هيا نذهب لمركز التجميل؛ حتى تعتني ببشرتك قليلًا وتصبحين كالقمر ليلة البدر.

قالتها والدتها وهي تنهض مغادرةً الغرفة غير مبالية بابنتها:

-كالقمر ليلة البدر؟! كم أصبحت جملك قديمة يا أمي!

قالتها بسخرية قبل أن ترتمي بجسدها مستلقية على السرير هاتفةً بعذابٍ:

-يا أله، أشكو إليك، فليحترق ذلك الوغد قبل أن يصل لمنزلنا، أنت قادرٌ على كل شيء يارب.

حسنًا هي لن تخرج خاسرة من هذا الأمر؛ ستشتري فستانًا جديدًا وتجعل والدها يدفع مبلغًا ضخمًا عقابًا له على فتح هذا الموضوع معها.

***

يوم الجمعة:

-لقد ضاع يوم إجازتي ولم أقابل أصدقائي، وهذه أول الخسائر.

قالها (سيف) بحسرةٍ وهو يقود سيارته لمنزل العروس، ألا لعنة الله على كل الخالات اللاتي يرشحن فتياتٍ للزواج.

-لا تتذمر هكذا، سنرى الفتاة وستعجبك إن شاء الله.

قالتها والدته بصرامة ليهز هو رأسه قائلًا بغيظ :

-لا أصدق أنكِ تصرفتِ هكذا دون إخباري بالأمر، وكأنني طفلٌ صغير، حسبي الله في مَن كان السبب.

شهقت والدته بفزعٍ فجأة ليصرخ هو مجفلًا:

-ماااذا؟

-لقد نسينا شراء شوكولاتة، يالا الفضيحة!!

قالتها والدته وهي تضرب على فخذيها ليهتف هو بصراخٍ:

-لقد اشتريت، لم ننس، وقد كلفتني هذه العلبة مبلغًا لا بأس به وهذه خسارة أخرى لم أكن أرغب بها مطلقًا.

-لمَ تصرخ هكذا يا ثَوْر؟

نهرته والدته بعنفٍ قبل أن تكمل بسخرية:

-وإن كنت لا تريد الذهاب، لماذا تذكرت علبة الشوكولاتة؟ ولماذا ارتديت الحلة الأكثر أناقة لديك؟ وتعطرت بهذا الشكل وكأنك تريد لفت النظر؟

نظر لها بطرف عينه قائلًا بغلٍّ:

-لا أريد أن نتناقش يا أمي، أنهي هذا الحديث الآن حتى لا أهرب عائدًا لأصدقائي وأجعلك في موقف حرجٍ.

صمتت والدته وقد أرهقها التفاهم مع هذا العنيد داعيةً له بالتوفيق، بينما هو كان يشتعل من الغيظ بسبب هذا الموقف، وتتجرأ لتذله بأناقته هل يجب أن يذهب لناس لم يرهم من قبل بثياب بالية؟!!

***

هل تذكرين ذلك اليوم الذي سقطتِ فيه في الشارع أمام جمعٍ من البشر؟ أم ذلك اليوم حين حصلتِ على صفر بالاختبار وقال أستاذك نتيجتك وسط جميع الطلاب؟ بالطبع تذكرين كل هذا، كما تذكرين حين رفعتِ بنطالك أمام أحد الشباب الوسيمين والذي صُدم مما فعلته.

كل هذه المواقف المحرجة لا تساوي نقطة في بحر الإحراج الذي ستشعرين به حين تجلسين مع شابٍ لا تعرفينه في منزلك على تلك المقاعد ذات اللوْن الذهبي والتي تسمى في قاموس البشر (صالون)، ألا لعنة الله على كل صالونات العالم وما تسببه من إحراجٍ، لمَ عليها أن تكون في هذا الموقف الآن بدلًا من أن تجلس بغرفتها معززةً مكرمةً دون ذرة خجلٍ، كله بسبب والدتها ورغبتها بتزويجها وحسبها الله في مَن كان السبب.

والآن وبعد أن انسحب الجميع وتركوها مع عريس الغفلة لتتعرف عليه لا تستطع حتى رفع عينيها لتواجهه، يا ألله، كم تشعر

بالحرج والخجل!! هي لن توافق عليه إذن لماذا تجلس هذه الجلسة الآن؟

بينما هي تغرق بالإحراج كان هو يراقبها بتأنٍ منتبهًا لكل ما يبدر عنها، إن كان هناك شيء تفعله، لا يدرِ لمَ شعر بالراحة إليها حين رآها؛ فهي حتى لم تتحدث ولكنها تعطي حالة من السكينة لا يعرف مصدرها، هل هذا هو القبول الذي يتحدثون عنه؟ هل سيسقط في هذا الفخ؟ كما أنه يشعر بأنه رآها من قبل هل تصادفا حين أتى لزيارة خالته يومًا ما؟

-هل يعجبك حذائي؟

سأل مشاكسًا غير قادرٍ على تجنب الحديث أكثر، هو لا يكره في حياته أكثر من الصمت، وبما أنه الرجل وعليه واجب البداية فليفعل إذن.

رفعت رأسها إليه لتواجه نظراته بخجلٍ رهيبٍ لم تكن تعلم أنها تملكه قبل أن تقول لتخرج من هذه الحالة:

-يبدو أنك اعتنيت به جيدًا من أجل هذا اليوم، لذلك عليّ أن أهتم بالنظر إليه حتى لا تشعر بالإحباط.

لا تعلم من أين أتتها الجرأة لتقول هذا ولكنها ليست نادمة، ليته يهرب الآن ويتركها، ولكنه لم يفعل بل ابتسم رغمًا عنه قائلًا بفظاظة:

-على الأقل لديّ من اللباقة ما جعلني أرتدي حذاءً ولستُ مثلك أجلس حافي القدمين أمام شخص غريب.

-من الجيد أنك تعلم بأنك شخص غريب عني.

قالتها بتهكم قبل أن تكمل ترغب بإحراجه:

-في الواقع نحن لا نرتدي أحذية داخل المنزل، ولكن على ما يبدو أن والدي لم يخبرك بهذا ظانًا أنك ذكيٌ بما يكفي لتفهم وحدك.

أعجبته حقًا هو يحب الفتيات ذوات الدم الحار وليس هؤلاء اللاتي يدعين الوقار والرقة، ولكن لمَ تحدثه هكذا هل هي مجبورة على الأمر مثله؟

-أظن أن الحديث عن حذائي ليس مشوقًا لهذه الدرجة، لمَ لا نتحدث بشيءٍ أهم؟

قالها بجدية مصطنعة فهو لا يبالي بالأمر برمته ولكن عليه ألا يبدو فظًا أليس كذلك؟

-أخبرني يا دكتور، ما هي هواياتك؟

سألت بابتسامة باردة عله يخبرها إنه يحب الطبخ فتطرده بهذه الحجة ولكن جاءها رده اللامبالي:

-ليس لدي أي هواية؛ فأنا دومًا مشغول بالعمل وليس لدي وقت لفعل شيءٍ آخر، وأقضي أوقات فراغي مع أصدقائي.

كتمت ضحكة شريرة وهي تفكر بأنها ستخبر والدها بكل وضوحٍ أنه شخص ممل وتافه ولا يبالي سوى بالحصول على المال.

-ولكني أستمتع كثيرًا بمشاهدة مباريات كرة القدم، وأحيانًا أمارسها كرياضة مع أصدقائي.

أخبرها بكل صراحة فهو لن يجمل نفسه قائلًا بأنه يحب الرسم أو الغناء مثلًا، الصراحة مهمة جدًا في هذه الجلساتوكأنه يبالي!

-هل تظن أن مشاهدة بعض الأشخاص يركضون وراء كرة هواية؟!

سألت بتهكم ساخر ليرفع هو حاجبه قائلًا ببرودٍ:

-أخبرينا إذن ما هي هواياتك العظيمة يا سندريلا الحذاء المفقود؟

ضيقت عينيها تنظر له بحقدٍ، لم تكن هذه الجلسة طبيعية أبدًا فكلًا منهما بدا وكأنه يحاول إغاظة الآخر؛ لأنه السبب في وضعه بهذا الموقف، لذلك لم يبال أحد بطريقة حديثه وهل هي مهذبة أم لا؟ ماذا سيحدث مثلًا؟! سيرفض كلًا منهما الآخر وهذا هو المطلوب أليس كذلك؟!

-أنا لا أهتم بأي شيء في حياتي سوى القراءة، هذه هوايتي الوحيدة.

-إذن أنتِ من هؤلاء المملين الذين يجلسون دومًا في ركن منعزل يمسكون بكتابٍ يحمل عنوان "زهرة الربيع الباكية".

قالها ساخرًا لتضحك هي رغمًا عنها قائلةً:

-من أين أتيت بهذا الاسم؟ هل هذا اسم كتاب حقًا؟

-لا أعلم، لم أسمع به من قبل فأنا آخر كتاب أمسكت به كان العدد الأخير من سلسلة ما وراء الطبيعة ولم أقرأ بعده أي شيءٍ.

قالها رافعًا كتفيه بلامبالاة لتهتف هي فجأة بشكلٍ أجفله:

-أنا أعشق هذه السلسة.

نظر إليها للحظاتٍ بتوجس، هل هذه الفتاة مجنونة أم ماذا؟ لمَ انفعلت فجأة هكذا؟

-لدي المجموعة كاملة في منزلي منذ سنين.

قالها مبتسمًا وهو يرى اهتمامها بالأمر وكأن هذه ميزة تحسب له فسألته مبهورة:

-حقًا؟! أنا لم أجدها أبدًا كاملة واضطررت لقراءتها إلكترونيًا.

-يالا المأساة!!

قالها بحزنٍ مصطنع قبل أن يقترح اقتراحًا أراد أن يقتل نفسه بعد أن اقترحه.

-يمكنني إعطاؤك مجموعتي فأنا لا أحتاجها.

-اقسم أنك ستفعل.

قالتها بلهفة مقتربة منه قليلًا مما جعله يتراجع في مقعده متسائلًا عن سلامة قدراتها العقلية وهو يسمعها تكمل بسعادة:

-سأعطيك المبلغ الذي تريده في مقابلها.

رفع حاجبه مستغربًا جملتها، هل يبدو عليه حبه للمال أم ماذا؟ لقد اشترى لهم شوكولاتة غالية الثمن؛ ليعطي انطباعًا جيدًا، عنه ولكن

هذه الغبية تريده أن يأخذ نقودًا مقابل كتبه الذي يعتبرها ذكرى غالية من مراهقته، لماذا قال هذا العرض الغبي من الأساس؟ سيقتل خالته (رِهام) وربما يرسل معها أمه لرب العباد عسى أن يأخذ حقه منهما بسبب هذا الذي يحدث له الآن.

شعرت هي بمدى تفاهتها فاعتذرت قائلةً بخجلٍ:

-آسفة على انفعالي، ولكن أنت لا تعلم مدى أهمية هذا الشيء بالنسبة لي.

-حسنًا لا بأس لم يحدث شيئًا.

قالها بنبرة حنونة وهو يتذكر جنون شقيقاته حين يجلب لهن أي شيء فابتسمت هي براحة، لمَ تشعر أنها سمعت تلك النبرة من قبل؟

-هل تقابلنا من قبل؟

سألته باهتمامٍ ليجيبها بشكٍ:

-لا أعرف، أظن أنني رأيتك من قبل أيضًا.

تنهدت بتوتر ثم سألته وقد رغبت بأن تجد سببًا حقيقيًا لرفضه حتى لا تجرحه؛ فهو يبدو شخصًا جيدًا ولا يستحق أن ترفضه لمجرد أنها لا تريد الزواج بهذه الطريقة.

-أخبرني ببعض عيوبك إن كان هذا ممكنًا، فوالدتي أكرمها الله أخبرتني بكل مميزاتك متجنبة الحديث عن أي شيء آخر.

-يبدو أنكِ عانيتِ معها.

قالها بائسًا متذكرًا ضغط والدته عليه فردت هي ببؤسٍ مماثل وكأنها تشاركه بلاءها.

-كثيرًا، لقد عذبتني.

ضحك رغمًا عنه ثم قال بكل صراحة:

-أنا بارد إلى حدٍ ما، لا أنفعل بسهولة وهذا يحرق دم من يناقشني.

أحنت رأسها بيأسٍ هذا ليس شيئًا سيئًا أبدًا على الأقل بالنسبة إليها؛ فهي عصبية جدًا وتحتاج لمن يناقشها بهدوء.

رفعت رأسها تواجه نظراته فوجدته يتأملها بشكلٍ مفضوح فاحمرت وجنتيها وتنحنحت بحرجٍ قائلة:

-هل لديك أي عادة سيئة كالتدخين مثلًا؟

-لا، الحمدلله، ليس لديّ أي عاداتٍ سيئة، ولكني أشرب المياة الغازية كثيرًا.

قالها بهدوءٍ وقد أعجبه الحديث معها وشعر براحة لا يعلم سببها ولكنه لا يبالي، هو لن يراها مرة أخرى، سيريحها فقط هذه المرة ولن يأتي مجددًا، ولكنها جميلة وهذا يشعره بقليلٍ من الحسرة خاصةً أنها لم تضع أي زينة على وجهها حتى ولو أحمر شفاه وهو لم يجد فتاة من قبل طبيعية لهذا الحد. ربما ليست جميلة بالمقاييس العامة، ولكن ملامحها مريحة وتعجبه، لم يكن يعلم أنها رفضت وضع أي زينة لتعاند والدتها ليس إلا والأمر لا يتعلق بشخصها أبدًا كما يظن هو.

-يمكننا الحد منها في المستقبل وسأساعدك على هذا.

سمع ردها عليه فانتبه إليها هازًا رأسه بعدم اقتناعٍ، بينما هي كانت تلعن نفسها راغبةً بخبط رأسها في الحائط علها تفيق من غبائها، هل قالت سأساعدك؟ في المستقبل؟! أي مستقبلٍ؟!! لعنة الله على مستقبله الذي لن تكون فيه بالتأكيد.

-أخبريني هل عملك مهم بالنسبة إليكِ؟

سأل بفضول لتبتسم هي ابتسامة لم تعجبه ثم ردت:

-إنه أهم شيء بالنسبة لي في الحياة، ولا أفكر بتركه مطلقًا مهما حدث.

-هذا رائع، أنا أحب المرأة العاملة.

قالها بارتياحٍ، وقد بدأ يفكر بها بجدية لذيذة ومرحة وربما تكون حنونة كما يتمنى، لمَ لا يعطي نفسه فرصة؟

بينما هي اندهشت من إجابته فسألت بذهولٍ:

-حقًا! ألا تعتقد أن المرأة العاملة تكون أقوى من الرجل وليست بحاجة إليه وتشعر بالضيق من أجل هذا؟

رفع حاجبه قائلًا باستغرابٍ:

-وهل المرأة العاملة لا تحتاج للرجل حقًا؟ هذا ليس حقيقيًا أبدًا إلا إن كنتِ تظنين أن الرجل ما هو إلا ماكينة سحب نقود.

-بالطبع لا أظن هذا، ولكني لا أعرف كيف يفكر الرجال لهذا أتساءل.

قالتها ببساطة ليسأل هو مبتسمًا:

-بمناسبة الرجال ما حدود الاختلاط بينكِ وبينهم؟ هل لديكِ أصدقاء من الرجال؟

لو كان سألها هذا السؤال منذ البداية لربما أجابته بنعم، ولكنها الآن لا تريد أن تشوه صورتها في عينيه؛ لذلك أجابته بصدقٍ:

-لا أتحدث مع الرجال إلا للضرورة، وهناك زملاء العمل بالطبع ولكن بيننا حدودًا لا نتخطاها.

ابتسم ابتسامة إعجابٍ لم تغفلها فشعرت بسعادةٍ سخيفة بداخلها، وكأي أنثى تتأثر باهتمام رجلٍ أيًا كان كانت ترد له ابتسامته بأخرى خجولة قبل أن تتنحنح قائلة:

-بمناسبة الرجال أيضًا أخبرني هل تخرج كثيرًا؟ هل تحب جلسات المقاهي وتلك الأمور؟

-أنا لدي الكثير من الأصدقاء؛ لذلك أبقى معهم كثيرًا في أوقات فراغي، ولكن هذه الفترة انشغل كل شخصٍ بحياته الشخصية فاقتصرت المقابلات على مرة كل أسبوع.

قالها بائسًا لتبتسم هي قائلة بحنانٍ لم تتعمده:

-لا تحزن هذه هي الحياة.

لديها ابتسامة رائعة يعترف بهذا، كما أن نبرة صوتها رائعة وبها الكثير من الدفء.

-هل أنت منتظمٌ في الصلاة؟

لم تسأله هذا السؤال من البداية رغم أنه مهم؛ لأنها ببساطة لم تكن تهتم، ولكن الآن إن كانت ستعطيه الفرصة عليها أن تعرف. هل حقًا ستعطيه فرصة؟!

-نعم، منتظم، الحمدلله، لا تقلقي.

تنهدت بعمقٍ ليسألها بمكرٍ:

-هل تتمنين وجود شيء سيء بي لترفضي؟

-هل أنا مكشوفة لهذا الحد؟

سألت بإحراجٍ ليطلق ضحكةً عميقة خافتة ثم رد قائلًا:

-هل أنتِ رافضة لفكرة الزواج؟

-الأمر ليس هكذا؛ أنا فقط لا يعجبني هذه الطريقة بالزواج.

قالتها بصراحة ليعتدل هو في جلسته قائلًا بجدية:

-لماذا لا نعطي لأنفسنا فرصة للتعرف على بعضنا أكثر فربما نكون متوافقين وتنجح العلاقة؟

-هل تظن هناك توافقًا بيننا؟

سألت بهدوءٍ ليجيبها برزانة:

-ربما، لمَ لا؟! لا تحكمين على الأمر بشكلٍ سطحي، لقد نجحت الكثير من العلاقات بهذا الشكل، أنا ليس لدي مانع في أن أعطينا فرصة أخرى للحديث؛ فهناك صفات مميزة بكِ تعجبني ولن أضحي بهذا.

-ليس معنى أن هناك بعض الصفات الجيدة بي أنني مناسبة لك.

قالتها بطريقةٍ سخيفة أنّبت نفسها عليها، ولكنه لم يبالِ بل ابتسم بهدوءٍ ليكملا الحديث حتى وقتٍ متأخر وقد شعرا بالألفة.

لم يعد الأمر يبدو وكأنه إهانة لها، ولم يعد تقليديًا بالنسبة إليه.

***

حين عاد للمنزل ودخل غرفته وجد والدته تلحق به، فعلم أن أسئلتها لن تنتهي رغم أنها كادت تقتله في السيارة بكثرة أسئلتها.

-أمي، أنا أريد النوم.

قالها بسرعة يمنعها من معاودة النقاش، وقبل أن تعترض أخرجها من غرفته قائلًا:

-سنتحدث غدًا، تصبحين على خير.

أغلق الباب أمام نظراتها المغتاظة وعاد لعزلته الرائعة من جديدٍ، وبعد بعض الوقت كان يستلقي على السرير مستعدًا للنوم.

طرق ضيف الفضول أبواب عقله ففتح عينيه، وأمسك بهاتفه معلنًا حسن الضيافة له

وبحث عنها؛ بحث في أصدقاء ابنة خالته على أحد مواقع التواصل ووجدها هناك بسهولة من وسط المئات، لا يوجد في مصر الكثيرات ممن يحملن اسم (ناردين) على أي حالٍ، بلهفةٍ غريبة ضغط على صورتها ليفتحها ويتأمل ضحكتها الرائعة العفوية، حسنًا، تبدو رائعة أكثر في الصور، ولكنها لطيفة في الواقع أيضًا، لم يكتفِ بالصور فقط ومر بنظره على منشوراتها التي كتبتها بنفسها ليجدها تنتقد شخصًا ما قائلة:

(ألم تجد قليلًا من الدماء في عروقك لتحثك؛ حتى تنهض وتترك لي مقعدك في الحافلة أيها الوغد؟ صدقتِ يا أمي حين قلتِ أن جيلكم كان آخر عهدٍ للرجال، وصدق أيضًا الذي قال: "بماذا تفيد الفورمة والطبع طبع حرمة؟!!")

رفع حاجبه بتوجس، ألم يعد هناك رجال حقًا؟ بماذا سيفيدها إذن؟ مر بإصبعه على عدة منشوراتٍ أخرى جعلته يبتسم طوال الوقت، ليتوقف عند منشورٍ جعله ينفجر ضاحكًا رغمًا عنه:

(لا داعي للعجلة في الزواج عزيزاتي، سيرزقكم الله بكائنٍ مذكر في الوقت المناسب؛ لذلك أظن أن الزواج من حمدي سائق "التوكتوك" الذي يرتدي بنطالًا يلائم قصة شعره المرعبة ليس ضروريًا. أتفعلين هذا لمجرد أنكِ تريدين تغيير اسمك على مواقع التواصل الاجتماعي ل "أنا زوجة حمدي" وتنجبان المزيد من حمدي؟! ألا لعنة الله عليكِ أنتِ وحمدي، مع احترامي بالطبع لكل سائقي "التوكتوك" المكافحين من أجل لقمة العيش)

التمعت عين (سيف) بمكرٍ ثم ومن دون تردد كان يضغط على زر الإعجاب ليختار علامة الضحك حتى يثبت أنه مر من هنا، وبخبثٍ من نوع آخر صعد لصورتها ووضع علامة "أحببته".

***

في هذا الوقت كانت هي جالسة على سريرها بغرفتها تضع الحاسوب على فخذيها وتمسك الهاتف بيدها تجيب عن تساؤلات صديقتها الكثيرة:

-لا أعلم إن كان وسيمًا أم لا؟ لم أهتم بالأمر.

قالتها كاذبةً فهي قد دققت به جيدًا، لم يكن وسيمًا بالمعنى الحرفي، ولكنه لا بأس به، وأناقته تشفع له كثيرًا، عندها فهي أيضًا ليست فائقة الجمال لقد كان الاثنان "عاديين".

جاءتها صرخة صديقتها المغتاظة:

-أتريدين التسبب في جلطة لي؟! هل يوجد فتاة في الدنيا لا تدقق النظر في الرجل الذي ستتزوجه؟!!!!

ارتفع حاجب (ناردين) قائلةً بذهولٍ:

-أنا لم أقل إنني سأتزوجه.

جاءها صوت (جوان) الماكر وهي تقول:

-ولكنك لم تقولي العكس رغم رفضك الشديد للزواج بهذه الطريقة.

عقدت (ناردين) حاجبيها دون ردٍ. هل اقتنعت وتخلت عن مبادئها؟ ألم تعد ترى الأمر مهينًا أم ماذا؟

فتحت قائمة الإشعارات تنظر لها بشرودٍ وصديقتها مازالت تتحدث إليها بالكثير،

ارتفاع مفاجئ في إدرينالين الدم جعلها تصرخ بهلعٍ:

-جواااااااان.

توقف قلب (جوان) للحظاتٍ خائفةً أن تسألها عمّا حدث.

-لقد وضع أحببته على صورتي.

قالتها بأنفاسٍ متسارعة من التوتر، أو ربما الحماس لتسألها صديقتها بلهفةٍ:

-هل هناك شيءٌ آخر؟

مرت عيناها بتدقيقٍ يشبه تدقيق المخابرات الحربية في البحث عن جاسوس ثم هتفت بانتصارٍ:

-جريمة أخرى متمثلة في أضحكني على أحد المنشورات.

أطلقت (جوان) صيحة حماسية جعلت زوجها الجالس بجانبها يستغفر ربه داعيًا لنفسه بالصبر:

-مبارك حبيبتي، أتمنى رؤية أطفالك في القريب العاجل.

قالتها (جوان) ضاحكةً بقوة لتنفجر (ناردين) بالضحك هي الأخرى.

***

الفصل الثاني

الرياح لا تأتي بما لا تشتهي السفن، بل تأتي بالاتجاه الذي يراه الله مناسبًا؛ لتكون السفينة أكثر أمانًا، وهي دومًا مؤمنة بأن اختيارات الله هي الأفضل، لن يخسر أبدًا مَن كان الله حسبه؛ لذلك قررت إعطاء (سيف) فرصة أخرى بعد أن استخارت ربها وشعرت بالراحة تجاه الأمر.

عصرت على نفسها فدان ليمون وأخبرت والدتها بالأمر راضيةً بتحمل كل نظرات المكر منها، الأمهات دومًا يحاولن إثبات أننا الخطأ وهن ذوات العلم بكل الخبايا والآتي، يرين مالم نستطع نحن الساذجات رؤيته، حسنًا، يا غاليات أنتن الصواب ونحن الخطأ، تنازلنا ورب الكعبة وخسرنا النزال.

***

واقفًا في الحمام تحت صنبور الاستحمام بانسجامٍ يمارس حقوقه الطبيعية في الاستمتاع بحمامٍ منعش بعد عودته من العمل، ولكن كان لشقيقاته ووالدته رأيٌ آخر كما يبدو؛ سمع طرقهن على الباب فعقد حاجبيه سائلًا بصوت عالٍ:

-ماذا هناك؟

أجابت شقيقته الصغرى بلهفةٍ شديدة:

-لقد وافقت، اتصلت والدتها الآن وأخبرت أمي.

زادت عقدة حاجبيه بعدم فهمٍ؛ ما هذا الحوار الغريب وهو يستحم؟!

-مَن تلك التي وافقت؟ ووافقت على ماذا؟

أجابته والدته بحماسٍ:

-ناردين، العروس وافقت أن تراك من جديدٍ؛ لتتحدثا مرة أخرى.

اتسعت عيناه بدهشةٍ من صوت والدته، هل كانت يائسة لذلك الحد؟ وهل يقفن الثلاث على باب الحمام؟

-اخرج بسرعة لتتحدث؟

غسل الشامبو من على شعره قائلًا بسخرية:

-لن أخرج الآن، أدخلن أنتن.

من دون تردد كانت والدته تمد يدها لمقبض الباب وتفتحه فصرخ (سيف) بفزعٍ:

-بالله عليكِ يا أمي، ارحميني، ماذا تظنين نفسك فاعلة؟!!

زفرت والدته بضيقٍ قائلةً:

-لمَ تغلق الباب بالمفتاح يا ولد؟! كيف سأدخل الآن؟

ضحك (سيف) بيأسٍ من هذا الكوكب الأنثوي الذي يعيش به.

-هذا هو الهدف من وجود مفتاحٍ في باب الحمام يا أمي، ألا تدخلي؛ لأنني لم أعد ولدًا ستصيبينني بجلطة يومًا ما.

ضربت شقيقته الأصغر بيدها على الباب قائلةً بعنفٍ:

-إذن اخرج لنرى ماذا سنفعل؟!

اشتعلت عيناه بعنفٍ مكبوت، سيقتلهن جميعًا ولن يلومه أحد.

تحرك ليغادر حوض الاستحمام وارتدى مئزره المجفف للجسم ثم انحنى بسرعة يمسك بخُف الحمام وفتح الباب صارخًا بهن:

-ماااااااذاااااا؟ ألا يمكنني الحصول على بعض الخصوصية في هذا البيت؟!!

ركضت شقيقتاه من أمامه صارختين برعبٍ من وسط ضحكاتهما لتتبعهما والدتهم هي الأخرى بحذرٍ يبدو أن لهفتها ستجعل ابنها يجن.

***

جلسة أخرى وحرج أقل، ليست رسمية مطلقًا وقد حدث القبول فلم يعد هناك داعٍ للحذر في الحديث. لم يأتِ (سيف) هذه المرة بيدٍ فارغة بل جلب معه حقيبة أنيقة تحمل سلسلة العراب (ما وراء الطبيعة)، سيستعيدهم إن تزوجها على أي حالٍ فليس هناك داعٍ ليندم على تهوره. كانا قد بدآ الحديث منذ فترة واتفقا على بعض الأمور التي تضايقهما ليعرفا بعضهما أكثر، هذا ليس حبًا ولكنه إحساس يشعرك بالرضا.

-هناك شيءٌ أريد معرفته؟

قالتها (ناردين) بجدية يشوبها بعض التردد فنظر لها باستفهامٍ يحثها على الحديث.

-ما هي حدود تعاملك مع النساء؟ لأي درجة هناك مودة بينكم؟

سألت ببعض الضيق فهي طوال الأيام الماضية كانت تبحث في حساباته على مواقع التواصل لترى هناك الكثير من الفتيات عنده، ولكن هناك واحدة فقط تدعى (مريم) تتفاعل معه بشكلٍ مريب؛ الفتاة تعلق وتضع القلوب على كل شيء، والمصيبة أنه يبادلها

الاهتمام، لا يبدو وكأنه شخص لديه ميول كتلك أبدًا. هل انخدعت به ولم تستطع الحكم على شخصيته في جلسة واحدة؟

هز هو كتفيه قائلًا بلا مبالاةٍ زادت من غيظها:

-ليس هناك أي تعامل تقريبًا، أصدقائي جميعهم رجال وحتى زملائي في العمل.

-أليس لديك صديقات من الجامعة؟

سألت مبتسمة ببرودٍ فرفع هو حاجبه مبتسمًا؛ لمَ تصر على هذا الأمر لتلك الدرجة؟!

-لم أتواصل مع أحدٍ بعد الجامعة.

-من مريم إذن؟

سألت بضيقٍ، لقد دخلت على حساب الفتاة ووجدتها أصغر منه وليس هناك أي شيءٍ مشترك؛ لا العمل، ولا الدراسة، ولا شيء، إذن من أين يأتي هذا الود الغريب؟

-ما المشكلة في تعاملي مع مريم؟

سأل بغباء لتجيبه بعنفٍ مكبوت:

-الغريب أن الفتاة تظهر لك الحب الشديد على مواقع التواصل واهتمامك بها مثير للريبة، ألا تظن أن من حقي معرفة سبب تلك العلاقة القوية؟

بابتسامةٍ ماكرة سألها:

-هل بحثتِ عني على مواقع التواصل؟

-لم أبحث، أنت من أتيت بقدميك لحسابي وتركت خلفك دليل.

قالتها بفظاظة ليضحك هو قائلًا دون مراوغة:

-مريم تلك تكون شقيقتي، ستأتي معي المرة القادمة هي ومنار شقيقتي الأخرى لتتعرفي عليهما.

شعرت بالحرج فاعتذرت قائلةً بخفوتٍ:

-أنا آسفة لتدخلي في أمر كهذا، ولكن لو كان هناك نصيب بيننا أظن هذا من حقي، أليس كذلك؟!

ابتسامته الحنونة جعلت خاطرها عن رؤيتها له من قبل يعود من جديد؛ أين رأته بحق الله؟!!!!!

أيمكنها أن تكون رأته في منزل خالته مثلًا؟

-إذن، يا أنسة ناردين، هل سيكون هناك فرصة بيننا؟

تخضبت وجنتيها بحياءٍ غريب على صوتها الذي يفزع الطيور في أعشاشها غالبًا، وشخصيتها التي ترعب الأطفال فتنحنحت قائلة بصوتٍ لا يمت للثبات بصلة:

-سيخبرك أبي بالأمر.

-حسنًا، هل هناك شيء آخر تريدين قوله؟

ظهر التردد على ملامحها فهز رأسه بتشجيع لتجيبه بسرعة قبل أن تتردد:

-أنا لا أريد تلك المكالمات الليلية الطويلة ولا الحديث كل دقيقة من أجل شيء تافه.

ظهرت اللهفة على ملامحه وأجابها بسرعة هو الآخر.

-لكِ هذا، هذه أكبر هدية لي؛ فأنا لا أحتاج للمزيد من ثرثرة النساء في حياتي.

رفعت حاجبه تسأله بغيظٍ:

-ألا تريد الحديث معي لتلك الدرجة؟!

فكر ببؤسٍ للحظاتٍ ، ها قد بدأ الخناق، سامحك الله يا أمي، لقد كنت أعيش سعيدًا ببالٍ رائق، قرر أن يجيبها بصراحة فقال:

-الأمر ليس هكذا مطلقًا؛ أنا فقط لا أحب هذا، كما أن الأمر من الممكن أن يتطور والحديث يصبح أكثر خطورة مع الوقت فنقول ما يغضب الله.

تعالى صوت ساخر داخلها يقول "يا ولد يا مؤمن"، ولكنها كبحته وأجابته ضاحكة حين شعرت بتوجسه:

-أتفهمك تمامًا لا تقلق.

زفر هو بارتياحٍ سعيدًا بهذا التفهم السريع.

***

بعد يومين:

معرض القاهرة الدولي للكتاب:

صارت في المعرض هي و(جوان) تحملان عدة حقائب بداخلهم كنز اليوم، لقد اشتريتا الكثير من الكتب حتى ظنتا أنهما مرضى.

نظرت (جوان) في ساعة يدها قائلةً:

-لقد بدأ حفل التوقيع هيا لنلحقه.

شهقت (ناردين) متفاجأة من مرور الوقت بهذه السرعة، ثم تحركت مسرعة نحو الجناح الخاص بحفلة توقيع كاتبها المفضل.

بعد لحظات وقفت تزفر بضيقٍ من الزحام، ربما لن تستطع الوصول للكاتب أساسًا ليوقع لها ولا يوجد أي نظامٍ ليجعل الأمر أسهل، في هذه اللحظة أتى (سيف) لنفس المكان يتحدث في الهاتف قائلًا بسخرية:

-سيدي المشهور، أيمكنك الخروج لي للحظات؟

جاءه الرد من صديقه الكاتب والذي كان هذا الزحام من أجله:

-لا أستطيع الخروج الآن يا سيف، حاول أن تأتي أنت.

عقد (سيف) حاجبيه قائلًا بهمسٍ شرير:

-أيها الوغد النذل، هل ستتخلى عني الآن بسبب شهرتك الفارغة؟

-دقيقتان وسأكون عندك.

قالها صديقه بجدية ليضحك (سيف) رغمًا عنه ويغلق المكالمة منتظرًا خروجه من وسط هذا الجمع، مازال حتى الآن لا يصدق أن صديقه الأبله كاتب مشهور لتلك الدرجة ويخبره دومًا أن رواياته تلك يسرقها من شخص آخر، اتسعت عيناه بإثارة فجأة وهو يرى (ناردين) تقف قريبًا منه ويبدو على ملامحها البؤس، فنادها دون

تردد وهو يقترب منها، نظرت هي له مندهشة قبل أن تبتسم بخجلٍ قائلة:

-مرحبًا سيف، ماذا تفعل هنا؟

أشار للحفل قائلًا ببساطة:

-أنتظر صديقي لنخرج معًا، لم آتِ لشراء الكتب للأسف.

ضحكت رغمًا عنها قائلة وهي ترفع الحقائب الموجودة بيدها:

-أما أنا كما ترى اشتريت الكثير.

-مبارك.

قالها مبتسمًا وهو يرى فرحتها بما اشترته لتبتسم هي الأخرى بينما (جوان) تراقبهما بحاجبٍ مرفوع.

خرج صديقه إليهم في هذه اللحظة قائلًا:

-أرجوك يا سيف، أعطيني نصف ساعة لأنهي حفلي وسآتي معك.

نظر له (سيف) بعينٍ ضيقة مهددة، بينما (ناردين) هتفت بغير تصديقٍ وهي ترى الكاتب الذي تحبه أمامها فجأة ومن دون مجهود.

-أستاذ سامح، يا إلهي!! هل هذا أنت حقًا؟

رفع (سيف) حاجبه حين رأى لهفتها وارتفع الآخر حين سمع صديقه يرد بابتسامة:

-مرحبًا آنستي.

-هل تعرفان بعضكما؟

سأل (سيف) بغيظٍ لترد (جوان) على الفور؛ حتى تنقذ الموقف:

-نحن مَن نعرفه فقط؛ إنه كاتبنا المفضل، ولكن هو لا يعرفنا طبعًا.

مال (سامح) على صديقه يسأله دون فهمٍ:

-من هما؟

جز (سيف) على أسنانه هامسًا بعنفٍ مكبوت:

-من المفترض أنها الفتاة التي سأتزوجها وصديقتها تلك التي تقف منبهرة بصديقي الوغد هي زوجتي المستقبلية.

أطلق (سامح) ضحكة مكتومة ثم نظر ل(ناردين) المتلهفة للحديث معه قائلًا باحترامٍ:

-إذن أنتِ آنسة نردين، لقد حدثني عنكِ سيف.

اتسعت عيناها قائلةً بانبهارٍ:

-هل تعرف اسمي؟

كادت (جوان) أن تصفعها وهي تتحدث هكذا مع الكاتب أمام الرجل الذي يخطط للزواج منها، تقسم إنها لو تحدثت هكذا أمام زوجها لجعلها تترك القراءة للأبد.

ابتسم (سامح) لها دون ردٍ وقد شعر بغيظ صديقه فسألته هي بترددٍ:

-أيمكنك أن توقع لي كتابي؟ أم سيكون هذا ظلمٌ للآخرين؟

تحدث (سيف) قائلًا ببساطة:

-بالطبع سيفعل، الأمر ليس بهذه الصعوبة.

نظرت (ناردين) للجمع الموجود بانتظار التوقيع، كانت ستنتظر أكثر من ساعة ربما ليأتي دورها وتأخذ التوقيع، الأمر صعب ولكن (سيف) لا يشعر بهذا على ما يبدو، ستتزوج بصديق كاتبها المفضل يالا الروعة!

عند هذا الخاطر سألت بلهفة:

-لو أرسلت لك مع سيف باقي رواياتك الموجودة عندي هل ستوقعها أيضًا؟

ضحك (سيف) بتهكم رغمًا عنه، تريده أن يكون مرسالًا أيضًا، لمَ تنبهر بصديقه لتلك الدرجة؟ إن الرجل متزوج حتى ألا تعرف بهذا؟ ليخبرها إذن.

-ليس هناك داعٍ لترسليها معي، يمكننا أن نخرج معًا ويجلب سامح زوجته أيضًا ويوقعها لكِ.

قالها بعفوية مصطنعة لتبتسم هي باتساعٍ قائلةً دون تصديقٍ:

-ويمكنني رؤية زوجته أيضًا؟ أنا أحبها للغاية هل تعلم هذا؟

ضرب (سيف) كفًا بكف ضاحكًا بغير تصديقٍ؛ الفتاة مهووسة كما يبدو، حسنًا، لن يحكم عليها بسبب تصرفاتها الطفولية الآن، هي تعجبه وهذا يكفيه حتى الآن.

بعد لحظاتٍ تركهم صديقه عائدًا لحفله بعد أن وقع لها الكتاب فسألها باهتمامٍ:

-ماذا ستفعلين الآن؟

تنهدت قائلةً براحة:

-لقد أنهيت كل ما أريده سأعود للمنزل.

-يمكنني إيصالك إن كنتِ تريدين هذا.

قالها بصدقٍ فابتسمت هي بخجلٍ قائلة:

-شكرًا لك سأعود بمفردي.

هز رأسه بتفهمٍ وراقبها وهي تغادر مع صديقتها، هل دقق النظر في جسدها من قبل؟ نعم، لقد فعل، ولكنها الآن تبدو أكثر رشاقة ببنطالها الذي يحدد ساقيها وبلوزتها الطويلة. تنهد ببؤسٍ هل سقط في فخ الزواج بهذه السرعة؟ ويتأملها أيضًا معجبًا؟!!

***

حين كان في طريق العودة للمنزل هاتفه والدها؛ ليخبره أنه يتشرف بمقابلته بعد ثلاثة أيامٍ لقراءة الفاتحة والاستعداد للخطبة، هكذا ببساطة خطا أول خُطوة لتكوين حياة مختلفة تمامًا عن حياته، وتحمل مسؤوليات جديدة لا يعرف عنها شيئًا، والبقاء مع فتاةٍ تعتبر غريبة عنه؛ أفكار مرعبة احتلت عقله تخبره بأن ينجو بنفسه ويلوذ بالفرار ولكنه كان أقوى من أن يستمع إليها، هذه هي الحياة الطبيعية لأي كائن بشري مَن هو حتى يغيرها؟

***

اليوم التالي:

بالإكراه والإجبار ذهب مع والدته وشقيقتيه لحفل زفاف أحد أقاربهم، ما دخله هو بزواج رجلٍ لا يعرفه؟ كل ذنبه في الحياة أنه يمتلك سيارة وعليه أن يستخدمها من أجلهن.

جلس على أحد الطاولات بجانب والدته يراقب بعينيه شقيقتيه الواقفتين عند حلبة الرقص يصفقان بحماسٍ مقسمًا بداخله أن يأخذهما ويعود للمنزل إن رأى إحداهما ترقص، ستكون حجة رائعة للعودة للمنزل.

يا ألله، كم يشعر بالتعب! لمَ لا يعود من عمله لينام قرير العينين بدلًا من الجلوس في هذه الأجواء الصاخبة التي أصابته بالصداع؟

تلفت حوله علّه يجد أحد من أصدقائه ينقذه ولكنه وجدها هي، تتحرك بسرعة حتى تصل للعروس مرتدية فستانًا جعلها مبهرة خاصةً مع زينة وجهها الخفيفة المتقنة.

نظر لوالدته باتهامٍ صريح فوجدها منشغلةً بالحديث مع خالته، هل وجودها هنا صدفة؟ أم أن والدته كانت تعلم ولذلك أصرت على قدومه؟ بالطبع الأمر ليس صدفة مطلقًا لقد حركته والدته كالغِر معها.

عاد بنظره ل(ناردين) التي دخلت وسط الفتيات بحماسٍ لتمسك بيدها شيئًا أسطوانيًا وتشعله، وفي لحظاتٍ كان ينبعث منه شررٌ قويٌ أضاء المكان بقوة وتلوح به أمام العروس راقصة ببلاهة وهي تضحك بقوة، ورغم مظهرها الغريب وحركاتها التي لا تليق بفتاةٍ مثلها كما يظن إلا أنه ابتسم ببطءٍ وهو يراقبها؛ كانت مبهجة بشكل يسر القلوب، مَن هو ليمنعها عن فعل شيءٍ يسعدها لتلك الدرجة؟

-أليست تلك ناردين؟

سألت والدته باستغرابٍ مصطنع ليهز هو رأسه بالإيجاب دون أن يبعد نظره عنها فسمع والدته تقول بفخرٍ:

-ما شاء الله، فتاة رائعة بكل المقاييس، انظر كيف تمرح وسط البنات يا سيف.

-أنا أنظر يا أمي، أنظر جيدًا.

قالها متنهدًا ببطءٍ ثم نهض من مكانه متجهًا إليها والحجة شقيقتاه، بينما والدته أكملت الحديث مع خالته وباقي النسوة الموجودات على الطاولة لتشير إحداهن ل(ناردين) قائلةً بتردد:

-ما رأيكن بتلك الفتاة؟

عقدت والدة (سيف) حاجبها قائلةً بحدة:

-لماذا تسألين؟!

-أفكر بأن أخطبها لابني حسام.

ضربت والدة (سيف) بيدها على الطاولة بقوةٍ صارخةً بالمرأة:

-إياكِ أن تفكري بهذا، هذه خطيبة ابني وملكه.

-حقًا؟!! لم أكن أعلم أنكِ خطبتِ لابنك أخيرًا، ظننته سيبقى عازبًا للأبد.

قالتها المرأة باستهزاءٍ لتجيبها بتحدٍ:

-لقد فعلت يا حبيبتي، ابني قرر الزواج أخيرًا بعد أن فعل كل ما يحلو له، وكما ترين خطيبته رائعة ولا ينقصها شيء.

-لا أظنها جميلة أبدًا.

قالتها المرأة بامتعاضٍ لتجيب والدة (سيف) ببرودٍ:

-لم يطلب أحدٌ رأيك، الفتاة تعجب ابني، وذات خلق ومتعلمة، نحن سعداء بها للغاية.

تدخلت خالة (سيف) قائلةً بتوتر حتى تنهي الجدل:

-صلوا على النبي يا جماعة، نحن هنا لنفرح بالعُرس وليس لنتشاجر.

تجاهلت المرأة حديثها تمامًا وسألت بحاجبٍ مرفوع:

-ومتى العُرس إن شاء الله يا أم سيف؟

-في أقرب وقتٍ، سأرسل لكِ دعوة بالتأكيد.

قالتها مبتسمة بسماجة وهي تدعو لابنها بالهداية في سرها؛ فهو من وضعها بهذا الموقف الآن، كلما كان هناك تجمع مع النسوة شعرت بالمهانة بسبب رفض ابنها للزواج، وكأنهن منتظرات منه شيئًا حين يتزوج، لعنة الله على تدخل البشر في كل مالا يعنيهم.

***

وقف (سيف) عند حلبة الرقص ليمسك بذراع شقيقته (مريم) قائلًا في أذنها:

-أيمكنك لفت نظر ناردين دون أن يبدو الأمر مقصودًا؟

نظرت له قائلةً بخبثٍ وقد كانت تعرف (ناردين) من كثرة الصور التي رأتها وتفاجأت حين وجدتها بالعُرس:

-يبدو أنك مهتمٌ للغاية يا مَن لا تريد الزواج!

نظر لها ببرودٍ فتصرفت شقيقته الأخرى وقد سمعت حديثهما وأمسكت بذراع (ناردين) لتسحبها من وسط الجمع، مما جعل (سيف) يوشك على الإصابة بذبحة صدرية من كثرة الغباء؛ أهكذا لن تدري أن الأمر مقصودٌ؟

وقفت (ناردين) أمام ثلاثتهم مذهولة ليبتسم (سيف) قائلًا بإحراجٍ:

-مرحبًا.

نظرت لذراعها الموجود بيد شقيقته فتركتها الفتاة معتذرةً وهي تضحك ليشعر (سيف) بالمزيد من الحرج.

-من هؤلاء؟

سألت (سيف) بحاجب مرفوع ليعرفها قائلًا وهو يشير لشقيقتيه:

-هذه مريم، وهذه منار، شقيقتاي.

تحدثت (مريم) قائلة بلهفة:

-كنا سنأتي إليكِ في يومٍ؛ لنتعرف.

ابتسمت (ناردين) قائلة بمحبةٍ صادقة:

-سأكون سعيدة بهذا.

تدخلت (منار) قائلةً برقة سعيدة:

-هل يمكننا تبادل أرقام الهواتف؟

مدت (ناردين) يدها إليها قائلةً دون تردد:

-بالطبع، أعطني هاتفك وسأسجل رقمي لديكِ.

أعطتها (منار) الهاتف، وفعلت (مريم) المثل لينظر (سيف) لهن بتوجس، عجبًا لسرعة الفتيات في التعارف يظنهن سيخرجن معًا غدًا، وكأنه ينقصه أنثى رابعة في حياته؛ أنثى لن تكون مثل أي أحدٍ. هل شقيقتاه بهذا الجمال والرقة؟ بالطبع لا، لا يظن أن (مريم) التي تستيقظ في الصباح بشعرٍ مشعث يفزعه بهذا الجمال. وبالطبع (منار) التي تحيل حياته جحيمًا بصوتها العالي لا تمت لرقة (ناردين) وغنجها بصلة، وربما تكون (ناردين) هي من تشبههن ولكنه لا يعرف، سيدرك مع الوقت بعد أن يرتبط بها ويفوت الأوان، لا يهم الأمر على أي حالٍ سيتقبلها كما هي.

-أنا ليس معي رقم هاتفك!

قالها بخبثٍ ليهتفن الثلاثة بسخرية:

-ولمَ سيكون معك؟

نظر لهن سائلًا بدهشة:

-هل اتفقتن عليّ؟

-أنا مضطرة للمغادرة الآن، سنلتقي فيما بعد.

قالتها (ناردين) بعجلٍ، ثم قبَّلت شقيقتيه وعادت لصديقاتها بعد أن لوَّحت له بخجلٍ ومن دون قبلة.

***

(النجاح في الزواج لا يحتاج إلى أن تتزوج الشخص الصحيح، النجاح يتطلب أن تكون أنت الشخص الصحيح)

أحمد خالد توفيق-رحمه الله-

بعد أسبوعين:

.جلست شقيقتاه في غرفتهما يتحدثان بقلقٍ جم على مستقبل شقيقهما الأكبر:

-أظنه ليس سعيدًا، لا يظهر أي حماسٍ رغم أن حفل الخِطبة اليوم.

قالتها (مريم) ببؤسٍ لتجيبها (منار) بتردد:

-أتظنينه يفعل هذا من أجل أمي؟ هو لم يكن يريد الزواج، ولكنه فعل بعد أن وضعته أمي أمام الأمر الواقع!

أجفلت الاثنتان حين سمعتا طرقات شقيقهما المميزة على الباب فسمحت له (مريم) بالدخول، ليفعل هو ويستقر بجانبها على السرير مستلقيًا بتطفل على خلوتهما.

-أخي.

نادته (منار) بحزنٍ لينظر هو لها باستغرابٍ مستفهمًا.

-ألستَ سعيدًا بزواجك؟

اتسعت عيناه سائلًا بدهشة:

-مَن قال هذا؟!!

-لا تبدو متحمسًا أبدًا ولا حتى تظهر أي توتر متوقع!

زفر بهدوء مفكرًا، هو يعلم أن الزواج شيءٌ ضروري في الحياة، ويعلم أن سنه أصبح مناسبًا لهذا الآن، ورغم خوفه الطبيعي من المسئولية إلا أنه يشعر بالفرح رغمًا عنه، سيكون له حياة وأسرة يكونها من الصفر، وسيكون له زوجة يشاركها كل همومه وأفراحه ويشتكي لها حين يحتاج لذلك، ولكن ليس عليه أن يهلل من أجل

هذا، كل ما في الأمر أنه سيتزوج، ماذا يريدونه أن يفعل ليبدو متحمسًا؟

بنبرةٍ هادئة حدث شقيقتيه الجامعيتين مدركًا أنهما سيفهمانه:

-ناردين لطيفة، أشعر بالراحة حين أتحدث معها، وأشعر بالبهجة حين تبتسم، أظنها مناسبة لي.

-لم تقل أنك تحبها.

قالتها (مريم) بغيظٍ ليقهقه هو قائلًا بصراحة:

-أنا لا أعرف ما هو الحب يا حبيبتي، ولكني وجدت بها كل ما أحتاجه، أظن هذا نوعًا من الحب.

-ألا تتسارع دقات قلبك حين تراها؟

سألت (منار) بحماسٍ فعقد هو حاجبيه مفكرًا في إجابة منطقية لشقيقتيه الحالمتين:

-يحدث هذا ولكني أظن تلك الدقات ناتجة عن الحماس؛ لأنني أتحدث مع أنثى، الجميع يحدث معه هذا.

صرخت به (مريم) قائلةً باستنكار:

-بالطبع لا، أتعني أنك كلما تحدثت مع فتاة تتسارع دقات قلبك؟! هل أنت أبله؟

صفعها على فخذها الذي يجاوره قائلًا بغيظٍ:

-اخرسي يا وقحة، لا أدري كيف تتحدثان مع شقيقكما بهذه الجرأة؟!

-نحن خائفتان عليك ونريد سعادتك.

قالتها (منار) بحنانٍ ليبتسم هو قائلًا بصدقٍ:

-أنا سعيد، لا تقلقا.

-حسنًا، عليك أن تبدأ بتجهيز نفسك لحفل الخِطبة، غادر غرفتنا الآن لنجهز نحن أيضًا.

نهض بتثاقل قائلًا بتأوهٍ بائس:

-ألا يمكننا الجلوس في البيت بأريحية بدلًا من الخروج هكذا دون داعٍ؟

صرخت به (مريم) قائلةً بغضبٍ:

-إنها خِطبتك بحق الله، الأمر له داعٍ بالطبع.

رفع يديه باستسلامٍ وخرج وقد نسى أنه أتى إليهما ليساعداه في كي قميصه.

***

لم يكن الأمر أقل تعقيدًا في منزل (ناردين)؛ لقد بدأت في التفكير بأن ما تفعله لن يسعدها وعقدة الزواج التقليدي تخنقها من جديد.

-هذا ليس الزواج الذي انتظرته طوال حياتي يا جوان.

قالتها بخفوتٍ وهي تسند رأسها على ظهر المقعد رافعة وجهها الذي يغطيه قناع للعناية بالبشرة، فأجابتها صديقتها بغيظٍ وقد كانت مستلقية على الفراش واضعةً قناعًا آخر يناسب بشرتها:

-الرجل رائع، وهناك أشياء كثيرة مشتركة بينكما، وتشعرين بالراحة معه، وقابلته في الخارج لتكتشفي إنه صديق كاتبك المفضل. ماذا تريدين أيضًا؟

زفرت (ناردين) بضيقٍ، لماذا لا يفهمها أحد؟ إن كان اختيارها ل (سيف) خاطئًا ستعاني طوال حياتها، هي ليست من النوع الذي يظن الزواج شيئًا ثانويًا بل تدرك أنه الأهم وأي شيءٍ آخر يمكنها الاستغناء عنه.

اعتدلت في جلستها لتسأل بتحدٍ:

-ماذا إن كان لا يشبهني؟ لو أنه لا يملك سلسلة العراب المغرية؟ لو لم يكن صديقه هو كاتبي المفضل؟ لو كان سيف شخصٌ عاديٌ لا أستريح في التعامل معه! ماذا كنت سأفعل وقتها؟

نهضت (جوان) من نومتها ببطءٍ، لن تقتلها لا تقلقوا، ربما ستصفعها لتستفيق فيما بعد ولكنها الآن عليها طمأنتها ليس إلا، حتى لا تلغي تلك الغبية خِطبتها قبل أن تبدأ. بمنتهى الهدوء أجابتها (جوان) وكأنها تتحدث مع طفل صغير:

-رغم أن كلمة لو تلك تستفزني ولكني لن أغضب، سأفكر بطريقتك وأفترض أن سيف شخصٌ غير مناسب لكِ، وقتها كنا سننهي الأمر قبل أن يبدأ، وسنكتفي بالرفض دون أن تريه مرة أخرى، هكذا ببساطة لن نزعجك بوجود شخصٍ لا ترغبينه، ولكن حمدًا لله الرجل مناسب لكِ وأنتِ بنفسك رأيتِ بأكثر من طريقة كم يمكنك التأقلم معه، لمَ هذا التفكير الغريب الآن؟

رغم اقتناع (ناردين) بكل ما قالته صديقتها إلا أن رغباتها القديمة كانت مسيطرة على عقلها فأجابت بخفوتٍ:

-أردتُ أن أحب شخص ما، رجل يشعرني بأن حضني هو الملاذ الآمن له، رجل يرى في عيناي دنياه وبين شفتاي سعادته، أردتُ أن يكون كل شيءٍ مميز، قبلة أنتظرها بلهفة من حبيبي، وحضن يغرقني بين أمواج العشق، أردتُ أن أبكي دون سببٍ، وأشكو له فيجيبني أنه يتفهمني ويشعر بي، هذه الأمور لن أشعر بها سوى مع شخصٍ أحبه يا جوان.

-أتدرين ما مشكلتك الكبرى؟

سألت (جوان) بخفوتٍ خطير لتنظر لها (ناردين) باستفهامٍ فصرخت بها بقوة عصبية:

-أن عقلك الفارغ هذا مليء بأحداث الروايات التافهة التي تقرأينها، ما هذه الجمل الغريبة بحق الله؟ وما هي أمواج العشق؟ في أي بحر توجد تلك الأمواج لأذهب وأغرقك بها؟

أجفلت (ناردين) من صراخها في البداية، ثم صرخت بها هي الأخرى:

-لماذا لا تفهميني؟ ألستِ صديقتي المقربة؟

ابتسمت (جوان) بتعاطف كم هي ساذجة ولا تفقه شيئًا عن المشاعر.

-أتدرين يا ناردين؟ كل ما تحدثتِ به الآن أشعر به مع زوجي، كل تلك الأمور أنا أعيشها رغم أنني متزوجة من فترة قصيرة.

-لأنكِ تحبين زوجك يا جوان.

قالتها ببساطة لتقهقه (جوان) بقوة قائلةً بضحكةٍ عالية:

-لقد فسخت خِطبتي ثلاث مراتٍ يا فتاة.

ضحكت (ناردين) هي الأخرى رغمًا عنها وهي تتذكر تلك الفترة البائسة في حياة صديقتها؛ حين تقدم شاب لخطبتها بشكلٍ تقليدي هي الأخرى فأصبحت تتصيد له الأخطاء من كثرة شكها في قرارها، وانتهى الأمر بإنهاء الخِطبة ثلاث مرات خلال خمسة أشهر ولكنها تزوجته في النهاية.

عاودت (جوان) الحديث الجدي وإن شابه بعض الحب:

-أدركتُ بعد الزواج أنني كنت سأندم طوال حياتي إن رفضته، المشاعر الحقيقية تظهر بعد الزواج في التفاصيل الصغيرة؛ الحب يأتي عندما يراعيكِ زوجك دون مقابل، في تلك اللحظات التي يخبرك

بها أن طعامك رائع رغم إنه ليس كذلك، حين يخبرك بأنه لا يستطيع النوم إلا بجوارك. أتدرين متى قال لي زوجي أحبك لأول مرة؟

هزت (ناردين) رأسها بالإيجاب مبتسمة بتأثر؛ فقد أخبرتها (جوان) بهذا الأمر أكثر من ألف مرة سعيدة باعتراف زوجها الأول وعلى ما يبدو لم تكتفِ، وها هي توشك على إخبارها بالمرة الألف وواحد.

-لا بأس، سأخبرك من جديد.

قالتها بحماسٍ فقهقهت (ناردين) بقوة لتسمع صديقتها تقول بحالمية:

-حين استخدمت المكواه لتدفئة جواربه حتي يرتديها دافئة على قدميه في الشتاء، وقتها كان ممتنًا للغاية؛ لأنني اهتممت بشيء صغير كهذا وقبَّل رأسي، لا يبدو اعتراف الحب من أجل الجوارب شاعريًا، ولا قُبلة الرأس بدلًا من الشفاه رومانسية، ولكن صدقيني كان صادقًا أكثر من صدق عنترة بن شداد.

قهقهت (ناردين) من جديد داعية ربها أن يديم سعادة صديقتها للأبد ويمنع عنها الحسد.

***

قبل أن يخرج (سيف) من منزله لمنزلها أراد أن يضع بصمة مميزة لهذا اليوم ليذكره بها حسابه على موقع التواصل الاجتماعي الشهير بعد أعوام، وربما ليجعلها تراها هي الأخرى وتطمئن ويطمئن هو الآخر.

فتح هاتفه ليكتب تلك الأسطر التي قرأها من فترة طويلة واحتفظ بنسخة منها على هاتفه من أجل يوم كهذا:

"كان ذلك المساء قمريًا، ككل المساءات التي أرى فيها وجهك، كنت أستعد ووالدي لزيارتكم، لطلب يدكِ! ترى لماذا جُعلت اليد رمزًا لطلب الزواج؟! ألأن أيدينا هي أكثر أعضائنا قدرةً على التشبث؟! أم لأن فراغات الأصابعِ بينها معدةٌ خصيصًا لتملأها يدٌ أخرى؟! لا أعرف ولكنني أحب يدك وأرغب في طلبها، غير أني أرغبُ أكثر في طلبِ عينيكِ، فهي أول مصيدةٍ وقعت فيها! وهي أكثرُ البحارِ التي يستهويني الغرقُ فيها!" (أدهم شرقاوي)

ربما يظنه البعض غير صادقٍ، ولكن لمَ لا يكون مجرد شاب أراد أن يشعر وكأنه ذاهب إلى بيتها للمرة الأولى بعد أن عرفها لسنوات طوال؟!

حين يعود من الخارج سيجد أصدقاءه يقيمون حفلة على شرفه ليتنمرون على كلماته تلك وكأنه هو مَن كتبها، ضريبة الزواج في قانون الأصدقاء هي التنمر وأنت كمواطن صالح في جمهورية الأوغاد عليك أن تدفع تلك الضريبة.

***

الفصل الثالث

ارتسمت على شفتيها الابتسامات اللزجة بعد أن عصر كلاهما على نفسه طنًا من الليمون ليوافقا على الجلوس بهذه الطريقة أمام الجميع.

كان يحيط بهما جميع أصدقاء (ناردين) ليلتقطوا الصور معها، فشعر (سيف) برغبةٍ شديدة في مغادرة المكان؛ حديث الفتيات لن ينتهي وهو لا يرى أي متعة في التقاط الصور مع أشخاصٍ لا يعرفهم. حين انتهى أمر التصوير تحدث هو قائلًا بصوتٍ لم يسمعه سواها محافظًا على ابتسامته:

-لقد آلمني فكي من كثرة الابتسام.

همست له ببؤسٍ شديد رغم ابتسامتها:

-لو كنت أعلم أن هذا ما سيحدث لرفضت القيام بهذا الحفل، أنا نادمة للغاية.

هز رأسه قائلًا بأسفٍ شديدٍ:

-لا مفر من قضاء الله.

قهقهت فجأة بصخبٍ جعل الحضور يبتسم وينظر هو لها متفاجئًا، فبررت له هامسةً:

-آسفة، ولكن حديثنا لا يليق بالمناسبة مطلقًا.

أومأ بتفهم دون ردٍ لتطلق هي ضحكة أخرى جعلته يضحك رغمًا عنه ثم أخرج هاتفه قائلًا بعبثٍ:

-لنلتقط الصور معًا من دون أحدٍ، اقتربي قليلًا.

كانت قريبة بالفعل ولكنها مالت عليه بضع سنتيمترات جعلته يبتسم ويلتقط الكثير من الصور برغبته لأول مرة منذ بداية الحفل.

-ألن نضع يدينا بجانب بعضها لنصور خواتم الزواج؟

سألت ضاحكة لينظر هو لها قائلًا بحرجٍ:

-هل هذا الأمر ضروري؟ أنا لا أستسيغ هذه الحركة مطلقًا.

رفعت حاجبها قائلةً بمرحٍ به بعض الإصرار:

-بالطبع ضروري، من حقي أن أضعها على مواقع التواصل وأكتب بجانبها "أنا خطيبة سيف" كهؤلاء اللاتي يسببن لي ارتفاع في ضغط الدم.

قهقه رغمًا عنه وضم قبضته ليضعها أمامها وفعلت هي المثل ليلتقط ليديها صورة في الوضع الذي يكرهه.

***

مرت الأيام بهدوءٍ عليهما؛ فقد كان الأمر سهلًا للغاية، لم يحدث شجارات على ماذا سيجلب العريس وماذا ستجلب العروس، ووافق (سيف) على كل ما طلبوه كرجلٍ يريد فتاةً ولا ينوي تركها مطلقًا؛ لذلك لم يكن هناك داعٍ ليرفض أي شيء.

وها قد مر ثلاثة أشهر على خطبتهما تعرفا على بعضهما فيهم أكثر، وألقي الله بذور الحب في أرض قلوبهما الخصبة وليس عليهما سوى انتظار الحصاد.

كانت هي متلهفة بشدة لتجربة تلك المشاعر التي لطالما قرأت عنها في الروايات، وسمعت عنها من صديقاتها ولم تجربها، ولهفتها تلك جعلت الأمر يأتي بسرعة بالنسبة لها وتشعر ببوادر حب قوية تجاه (سيف) الذي تراه أكثر من أربعة مرات خلال الأسبوع وتحدثه كتابيًا كثيرًا، أما هو فلم يختلف عنها كثيرًا رغم إنه لم يكن ببراءتها،

ولكنه حقًا أحب ذلك النوع الجديد من العلاقات مدركًا أن نهايتها ستكون سعيدة ومرضية له.

***

يوم الجمعة:

الساعة السابعة صباحًا:

كل ما يحتاجه المرء في هذا اليوم وتلك الساعة هو وسادة وثيرة وسرير واسع لينام كل ما فاته طوال الأسبوع، يوم الإجازة الرائع والذي غالبًا ما نستيقظ به مبكرًا بسبب العادة، ولكن بالتأكيد لن نستيقظ في السابعة صباحًا، وهو رغم نومه الرائع هذا إلا أن رنين هاتفه كان له رأي آخر فتعالى صوته في الغرفة ليبدأ في تعذبيه بأقسى الطرق.

مد يده على المنضدة المجاورة للفراش يبحث عن هاتفه وحين لمسه سحبه بنزقٍ لينظر بعينٍ واحدة للاسم الذي يضيء الشاشة فوجدها هي (ناردين)، لو كانت شخصًا آخر لتجاهلها تمامًا ولكنه لن يفعل هذا مع الفتاة التي ستعيش معه باقي عمره، كما لم يفعل أبدًا مع والدته وشقيقتيه ربما تكون بحاجته.

أجاب على الاتصال قائلًا بحشرجة من النوم وقلق من اتصالها في هذا الوقت:

-ماذا هناك؟

جاءه صوتها الضاحك قائلة بعبثٍ:

-من الجيد أنك مستيقظ الآن، بالطبع لن تكون نائمًا حتى الآن وقد نمت مبكرًا بالأمس مفضلًا النوم على الذهاب معي لزفاف صديقتي كأي خطيبين.

استلقى على ظهره مبتسمًا، إذن هي لن تمرر الأمر كما توقع؛ لقد كان مع أحد أصدقائه وأخبره أنها ستحيل حياته لجحيمٍ بسبب هذا، نعم، سيندم؛ لأنه لم يذهب لزفاف صديقتها هي التي لا يعرف به أحدًا.

-لا تهتم يا حبيبي، لقد انتهى الأمر على أي حال.

قالتها بلامبالاةٍ مصطنعة فخرجت منه ضحكة مكتومة وصلتها لتزيد من غيظها خاصة حين سمعته يقول بسخرية:

-كلمة حبيبي تلك لم تقوليها مطلقًا بدافع الرومانسية، تقوليها دائمًا حين توشكين على قتلي.

-لقد أخبرتك بأنني لستُ من النوع القادر على الحديث بتلك الطريقة يا سيف، وأنت رضيت وقتها.

ابتسم دون ردٍ، نعم، لقد أخبرته ورحب هو بالأمر فكوْن الاثنين لم يرتبكا من قبل لم يكن لديهما هذه الكلمات أساسًا ليستخدموها بسلاسة، ربما يشعران بها ولكنهما أبدًا لم يقولاها بدافع شاعري، ليجرباها بعد الزواج حتى يكون لديهما شغف جديد إذن.

-لماذا تتصلين بي يوم إجازتي يا مزعجة؟

سأل بهدوءٍ وقد شعر بجفونه تُطبق من جديدٍ ترجوه أن يعاود النوم لتشهق هي بتذكرٍ مصطنع قائلةً بجدية شديدة:

-سأشتري البلاستيكيات الآن وأردت أن أسألك عن شيءٍ في غاية الأهمية.

رفع حاجبه بتوجس ما الشيء المهم في البلاستيكيات؟! سرعان ما جاءه سؤالها الذي جعله يشعر ببوادر ذبحة صدرية مدركًا أن انتقامها أغرب من المتوقع:

-طبق الغسيل ماذا تفضل أن يكون لونه؟ أحمر فاقع أم برتقالي؟!

***

أسبوع كامل جعلته يعض أصابعه من الندم راغبًا أن يذهب لصديقتها التي تخلف عن موعد زفافها ويعتذر لها ويرجوها أن تعيد الزفاف من جديدٍ وسيحضر هذه المرة. لقد اتصلت به في اجتماعٍ مهم أكثر من مرة حتى اضطر أن يجيبها بعصبية، لتسأله ببراءة إن كان يريد مفرش طاولة الطعام باللون الأبيض أم السكري! ومرة أخرى هاتفته في الثانية صباحًا بينما هو غارقٌ في النوم لتسأله إن كان يريد الصابون العطري برائحة الياسمين أم اللاڤندر! ما هو الصابون العطري أساسًا؟! وما دخله هو بهذه الأمور؟!

ولكنه لن يمرر الأمر ستندم على ما فعلته طوال الأسبوع، ولن يكون (سيف) إن لم ينتقم، إن كان أخذ خطوة الارتباط بفتاةٍ متحملًا هذه المسئولية ووجع الرأس فلينقذ نفسه بنفسه إذن حتى يستطع العيش معها طوال العمر، ولكن ليربطها به بشكل أقوى قبل أن يبدأ الانتقام. لا يدري لمَ يشعر بكل هذا السعادة من مشاكساتها بدلًا من أن رغم الغضب؟ فليدم الله هذه السعادة بينهما للأبد.

جالسة في غرفتها أمام حاسوبها تشاهد أحد الأفلام الأجنبية بتركيزٍ لتقطع والدتها تركيزها هذا حين نادتها قائلة أن (سيف) سيأتي الآن ليتحدث مع والدها في أمرٍ مهم لمَ لم يخبرها بالأمر؟

أمسكت بهاتفها لتتصل به ولكنه أعطاها مشغول كدليل على إنه رفض المكالمة، ضيقت عيناها بشرٍّ وهي تفكر فيما يريد الحديث عنه!

جاءها إشعار من أحد مواقع التواصل ففتحته لتجد صديقتها تذكرها في تعليق على أحد الڤيديوهات قائلةً: "أليس هذا خطيبك؟!" وتبعت تعليقها بوجهٍ ضاحك بالدموع، فتحت الڤيديو لتتسع عيناها وهي ترى (سيف) أمامها في حفل ما في أحد المناطق الساحلية عاريًا إلا من سروال سباحة قصير ويرقص بجنون هو وأصدقاؤه مع مجموعة من الفتيات الشبه عاريات ويضحكوا جميعًا بصخبٍ.

شعرت بألمٍ حارق في قلبها ونار تهدد بحرق جسدها، نظرت لتاريخ النشر فوجدته منذ عامٍ ونصف. هل يشفع له هذا؟! كيف يسمح لنفسه بالرقص هكذا مع كل هؤلاء؟! بل كيف يقف أمامهن مِن دون ثيابٍ مستعرضًا جسده بهذه الطريقة؟!!

أجابت على تعليق صديقتها قائلة: "لن أحاسبه على الماضي بالتأكيد، بما أن وقت المرحاأنتهى حان وقت الالتزام"، وتبعت تعليقها بوجهٍ ضاحك وكأنها لا تبالي.

تبًا، إنها تبالي ولا يمكنها ترك الأمر هكذا! عاودت فتح الڤيديو لتدقق به أكثر، حسنًا، كان يرقص مع أصدقائه الشباب وتقريبًا لم يقترب من أي فتاةٍ ولو بلمسة صغيرة! تقريبًا؟! عاودت تشغيل الڤيديو من جديدٍ حين انتهى ها هو يمد يده تجاه إحداهن في حركة خاطفة فاتسعت عيناها تنتظر إن كان سيلمس الفتاة أم لا؟ ولكنه لم يفعل بل أمسك بيد صديقه ليسحبه نحوه من وسط الجمع.

نظرت لاسم صاحب المقطع (سليمان) فتعرفت عليه من صورته، وقد كان له العديد من الصور مع (سيف) وهناك تعليق من (سيف) على المقطع يقول فيه: "أيها الوغد لقد وعدتني أنك لن تنشره، ماذا إن رآه أحد غريب؟" أجابه صديقه قائلًا بلا مبالاة: "ومن سيراه يا رجل! اتركه للذكرى"

نظرت (ناردين) لعدد المشاهدات لتتسع عيناها بذهولٍ حين وجدتها تتعدى النصف مليون مشاهدة! لن يراه أحد فعلًا غير

الكرة الأرضية، لتحمد ربها أن الكائنات الفضائية لم ترَ زوجها المستقبلي وهو يرقص كالأبله عاري الجذع.

***

كأي فتاةٍ مهذبة خرجت لتجلس معه حين أتى مبتسمة بهدوءٍ لا يشي بما يعتمل في صدرها، لتسمع والدها يسأله بمحبة:

-ماذا هناك بني؟ لقد أقلقتني!

ابتسم (سيف) قائلًا باحترامٍ:

-لا داعي للقلق عماه، لقد أردت أن أخبرك برغبتي في عقد قران سريع!

عقد والدها حاجبه باستغرابٍ، بينما هي اتسعت عيناها بذهولٍ قائلة:

-لماذا لم تخبرني بالأمر وتستشيرني؟

نظر لها ببراءة قائلًا ببساطة مغيظة:

-ظننتك لن تعترضي، هل تنوين إنهاء هذه الخطبة؟

لم تستطع الرد لأن والدها اعترض قائلًا:

-هذا صعب يا سيف، مازال هناك ثلاثة أشهر على الموعد المحدد للزفاف، ولا يمكننا عقد القران منذ الآن.

تحدث (سيف) قائلًا بلهفة هو نفسه استغربها:

-لنجعل ميعاد الزفاف أقرب إذن، لقد انتهيت تقريبًا من تجهيز شقتنا، وأعتقد أن ناردين انتهت هي الأخرى من شراء ما تحتاجه لدرجة أنها اتجهت للبحث عن الصابون العطري.

قال جملته الأخيرة بابتسامة شرسة فقال والدها بغباء:

-الصابون العطري!

نهضت من مكانها فجأة تهتف بغضب:

-لا يمكنك تقرير هذا بمفردك يا سيف، كان عليك سؤالي أولًا قبل أن تتحدث مع أبي!

لم ينفعل (سيف) مطلقًا؛ فقد كان يعلم أنها محقة، ولكنه لم يظن أنها ستغضب من أجل هذا، لمَ تعترض أساسًا؟

-ألا تريدين الزواج بي؟

سأل باستغرابٍ لتزفر هي شاعرة بالإرهاق الفكري، الأمر ليس أنها لا تريد الزواج به بل أنها ليست مستعدة لهذا، لقد حضرت

نفسها لتتزوج بعد ثلاثة أشهر وكانت ترغب بتأجيل الأمر أكثر ولكنه فاجأها بهذا الأمر.

تحدث والدها فجأة قائلًا بحنانٍ:

-تحدثي حبيبتي، لن نجبرك على شيء مطلقًا، أليس كذلك يا سيف؟

هز (سيف) رأسه قائلًا بجدية:

-بالطبع عماه، هي لها مطلق الحرية باختيار موعد الزفاف وعقد القران أيضًا.

-أبي هل يمكنني الحديث مع سيف بمفردنا؟

سألت بخجلٍ ليهز والدها رأسه موافقًا وينهض تاركًا لهما المكان ليتناقشا في أمور حياتهما معًا وبمفردهما كما سيحدث دائمًا في المستقبل.

جلست هي على المقعد المجاور له قائلةً بضيقٍ:

-ما سبب هذا القرار المفاجئ يا سيف؟ لقد أخبرتني مريم من قبل أنك لم تكن تريد الزواج أساسًا، لماذا هذا التسرع إذن؟

أغمض (سيف) عينيه مخفيًا غضبه من شقيقته الثرثارة واعدًا نفسه بقتلها حين يعود للمنزل ثم فتحها من جديد لينظر لها قائلًا بثقة:

-وأنا الآن أريد الزواج يا ناردين، لم أعد قلقًا من هذه الخطوة وأريد أن أعيش معك في مكانٍ واحد منذ الآن.

تنحنحت هي تحاول إيجاد كلمات مناسبة للرد فساعدها هو سائلًا بحنانٍ:

-لمَ ترفضين الأمر؟ أمازلتِ تشعرين بالتردد نحوي؟ ظننتك تخطيتِ هذا منذ فترة، بل يمكنني إخبارك بأنني تجرأت وفكرت بأن هناك مشاعر حب وإعجاب بيننا.

انحنت تسند ذراعيها على فخذيها واضعة وجهها بين كفيها تزفر بحيرة، ماذا تريد حقًا؟! لمَ كل هذا التردد؟ رفعت رأسها ناظرة له بشجاعة لتبدأ بشرح بعض النقاط التي فكرت بها دون ترتيب:

-الزواج مسئولية كبيرة يا سيف، الاختلافات بيننا ستقتلنا مع الوقت، لو كنا نعرف بعد منذ فترة أطول ربما كنا سنستطيع فهم بعضنا بشكلٍ أكبر ونتخطى أي شيء.

صمت للحظات يفكر في كلماتها، لا يمكنه الشعور بالغضب؛ لأنه كان يفكر بنفس الطريقة ومازال يفكر هكذا ولكنه سيخطو داخل الأمر.

-عزيزتي، الجميع يتساوى في هذا الأمر، ولو كان بيننا عشرات السنين من الحب لن ندرك حياة بعضنا إلا عندما نعيش معًا.

نبرته الهادئة جعلتها تسترخي قليلًا وتهتم بما يقوله فأكمل هو بنفس النبرة:

-هؤلاء الذين ارتبطوا فترة طويلة لم يعرفوا كل شيء إلا بعد الزواج، يمكنهما الاختلاف على أي شيء؛ الطعام، النوم، طريقة الحديث، وحتى مواعيد الاستحمام، أتفهمين ما أقوله؟

سألها وقد أصبح هو نفسه لا يفهم شيء لتومئ هي بشرود، وقبل أن تجيبه تعالى رنين هاتفه مقاطعًا خلوتهما فأجاب حين وجده صديقه المقرب ليجده يهتف به بفزعٍ:

-مصيبة يا سيف!

عقد حاجبيه بقلقٍ ليسمع صديقه يكمل بلهاثٍ:

-خطيبتك! لقد رأت الڤيديو.

رفع حاجبه بعدم فهمٍ، ما علاقة (ناردين) بصديقه؟ وأي ڤيديو هذا؟

-هاتفها على الفور لترى إن كانت تخطط لشيء أم لا، انقذ نفسك لقد رأت ذلك المقطع حيث كنت ترقص بجنون وسط الفتيات حين كنا في الساحل.

-لعنة الله عليك يا سليمان.

قالها بغضبٍ لتنظر له (ناردين) بتساؤل فتأملها هو محدثًا صديقه بقلقٍ:

-كيف عرفت بالأمر؟ هل تركت تعليق؟

-لقد وجدت تعليقًا من صديقتها عندي وهي ردت عليها، لا أظنها ستمرر الأمر.

شعر (سيف) بالتوجس، لم تخبره (ناردين) بشيء فلمَ عليه أن يتوتر؟ ربما لا تهتم بالأمر مطلقًا!

أصدقاؤه دومًا ينقذون بعضهم في مواقف كتلك، وهو دومًا كان يشارك بدور المنقذ ولم يتخيل يومًا أن يكون هو الذي يحتاج الإنقاذ، كان لديهم قاعدة توضح أن الفتيات كائنات خطيرة ويمكنهم

اصطياد الأخطاء بأحدث الطرق، ولا يمكن لأحدٍ أن يفلت من بين أيديهن إلا بمعجزة، ولكي لا يقع عليه أن يتخذ حذره فينتبه لتعليقاته وصوره وكل شيء، حتى نظراته حين يكون معها وطريقة حديثه، وهذا ما جعله دومًا يخشى الارتباط بعيدًا عن أمر الزواج، لم يكن لديه القدرة على تحمل هذا الضغط وكان يترك الساحة دومًا للوحوش أصدقائه القادرين على مواعدة ثلاث فتياتٍ معًا دون أن تكتشف إحداهن الأمر.

تنحنح بقوة قائلًا ومازال ينظر إليها:

-سأحدثك فيما بعد.

أغلق الهاتف واعتدل في جلسته دون داعٍ، ثم سألها بنبرة بدت لها غامضة:

-هل هناك سبب خاص بي يجعلك ترفضين هذا الزواج؟

رفعت حاجبها سائلة بترقب:

-سبب مثل ماذا؟

هز كتفيه قائلًا بلامبالاة مصطنعة:

-أي سبب؟ هل تشكين في تصرفاتي مثلًا أو أخلاقي، ألا تشعرين بالراحة نحوي؟

ارتسمت على شفتيها ابتسامة شاحبة ثم أجابته ببساطة:

-الأمر لا يتعلق بشخصك يا سيف، وأنا لم أقل أنني لا أريد هذا الزواج، كل ما في الأمر أنني لا أريد التسرع.

-لنعقد القران إذن.

قالها بلهفة فزفرت هي بقلة حيلة قبل أن تتنهد قائلة باستسلامٍ نتيجة ضغطه عليها:

-حسنًا يا سيف، سأستخير الله وأجعل أبي يخبرك بقراري النهائي.

***

الفصل الرابع

بعد شهرين:

يوم عقد القران:

جلست والدته في المنزل صباحًا ممسكة بصينية معدنية تطرق عليها بنغمة محددة، وتنشد شعر للشيخ الألباني رحمه الله مصدرة صخبًا أسعد شقيقتيه المجنونتين وأيقظه من نومه:

(الله يغنيه وسيعًا فضله فهو الغني عطاؤه مشكور

أمر النبي بذات دينٍ زوجـة فاظفر بذات الدين هن الحور

المال يفنى والجمـال وديعـة والجاه يبلى كل ذاك غرور

الباقيات الصالحـات ذخيـرة مذخورة ونعيمها موفور

ليس الزواج لشهوةٍ وغريـزةٍ إن الزواج تعففٌ وطهور

ليس الزواج ستار أطماعٍ وما تغني عن اللب الشهي قشور

ليس الزواج لنزوةٍ عابرة ذاك انفعالٌ فتنة تغرير

إن الزواج وظيفة ومهمة ورعاية وتحمل وصغير

إن الزواج تصبرٌ وتجلد وعناية ما حقها التقصير

إن الأبوة خدمة وقيادة وتودد وتعقل وأمور

أمر بكل فضيلةٍ في أهله للمكرمات يقودهم ويسير
إن الأمومة عطفها لا ينقضـي ومقامها في التضحيات كبير
كان النبي معلمًا في أهله وهو الرسول مبشرٌ ونذير
خير الأنام وخيرهم في أهلـه في خدمة لعياله مشهور
يرعى صغيرهم ويحفظ عهدهم خلقٌ بفرقان الهدى مسطور
يحمي النساء يصونهن عفافـه وهو الأنيس المؤنس الستير
فرض الحجاب وقاية وحمايـة ومن النفوس رقابة وضمير
وسع النساء بحلمه وأناته والحلم طبعٌ في الرسول شهير
زوجاته نبع الفضائل والتقـى الطاهرات وزوجهن النور
للطيبين الطيبات وللألى خبثو خبيثات لهن شرور
الله طهر آل بيت محمدٍ بيت النبوة روضة وعطور)

وقف (سيف) أمامها بعيونٍ شبه مغلقة لتطلق هي زغرودة عالية جعلته يجفل ويستعيد وعيه بالكامل.

***

أما هي فكانت مجنونة تمامًا وتشعر بسعادة غريبة؛ لقد رفضت عقد القران حين عرضه عليها وطلبت المزيد من الوقت ولكنها الآن

واثقة تمامًا من قرارها ومستعدة للزواج، خرجت من غرفتها تغني بصوتٍ عالٍ جعل الجميع ينظرون لها بتوجس.

(وأخيرًا اتجوزت وماعدش ناقصني حاجة، ماحدش له كلمة عليا ولا حد له عندي حاجة

هيمسك إيديا براحته وأنا همسك إيده، وهيتدلع عليا وأتدلع عليييييه)

أمسكت بذراع (جوان) التي أتت مبكرًا إليها لترقص معها مكملة غناءها المجنون

(وخلاص هنعيش حياتنا ونظبط نفسنا، إنشالله نعيش في عشة مادام مع بعضنا

ولحد ما نروح بيتنا هنغني وهنرقص.. هرقص.. هرقص.. أنا هرقص)

قهقهت والدتها بقوة ضاربة كفًا بكفٍ لتصرخ (جوان) بها ضاحكة:

-ماذا هناك يا مجنونة؟!!! اليوم عقد القران وليس الزفاف.

أطلقت (ناردين) تنهيدة قوية لتقول بولهٍ مصطنع:

-متى سيأتي حبيبي ليأخذني لبيته؟

نظر لها والدها ببلاهة قبل أن يسألها باستغرابٍ:

-هل أنتِ راغبة بترك منزلي لهذه الدرجة؟!!!

اقتربت منه بسرعة تضمه بلهفة قائلة بصدقٍ مشاكس:

-أقسم بالله أبدًا يا حاج، أنت الخير والبركة وسيف هذا ليس سوى رجل أشعر نحوه ببعض المودة والألفة.

لكزتها صديقتها في خصرها بقوة فشهقت هي ناظرة لها بغضبٍ لترفع صديقتها حاجبها قائلة:

-هل هذه هي مشاعرك فقط؟ لمَ صرعتِ رأسي طوال الليل قائلة أحبه أحبه إذن؟

شعرت (ناردين) بالحرج من حديث صديقتها هكذا أمام والديها فابتعدت عن والدها واتجهت لغرفتها ناوية قتل (جوان) ولم تنتبه لنظرات والدها الحزينة رغم الفرح.

***

هل الزواج علاقة بين شخصين فقط؟ أم ارتباط بين الكثير من البشر؟ لو كنتم تظنونه علاقة بين شخصين فلماذا يقف أكثر من

عشرين شخصًا بأعين دامعة من الفرح؟ لمَ تتسارع الأنفاس بلهفةٍ وتحتل القلوب رجفة سعيدة؟

تلك المرأة التي تقف تدعو الله أن يبعد الحسد عن ابنها فخورة به وهي تراه أخيرًا عريسًا، لا تصدق أن المرء يمكنه الشعور بكل هذا الفرح دفعة واحدة، تدور حول الجميع تسألهم إن كانوا بحاجة لشيءٍ وتتلقى التهنئة ثم تعود لابنها ملهوفة لتربِّت على صدره بحبٍ ممتنة له؛ لأنه لم يخذلها أبدًا طوال حياته ووصل بها لهذه النقطة.

وتلك الفتاة شقيقته تراه من بعيدٍ وقلبها يقفز إليه يخبره أنها سعيدة من أجله لدرجة أنها فاقدة للقدرة على وصف شعورها؛ دموعها السعيدة فقط كانت خير دليل.

أما والدتها هي فكانت منبهرة، لقد أصبحت صغيرتها عروسًا تبهج النظر وتخطف القلوب، ابنتها التي مضت معها كل لحظة كبيرة وصغيرة ستتركها لتكون هي الأخرى أسرة مثلها، هل يمر الوقت بهذه السرعة؟ ألم تلدها من لحظات؟ كيف أصبحت بهذه الروعة؟!

ويقف أبوها أيضًا محافظًا بوقارٍ على هيبته مانعًا أي دموعٍ ومخفيًا كل تأثر، لقد سلمها بيده لرجلٍ آخر؛ رجلٌ ستأخذ منه هو الإذن

بعد الآن، سيساعدها في كل مالا تستطيعه وسيخبرها بكل مالا تعرفه، هذا الرجل الذي ستركض إليه حين تكون بمشكلة وتحتمي به حين تكون في خطرٍ، هل عليه تقبل هذا بصدرٍ رحب؟

نعم، سيتقبله؛ فهو لا يريد لها سوى السعادة، ويدرك أن سعادتها مع هذا الرجل الذي تأكد بنفسه من أنه يستحقها وجدير بالثقة.

كان عقد القران في منزلها ومقتصر على الأهل والأصدقاء المقربون فقط، ولفرحتها الشديدة حضر صديقه (سامح) كاتبها المفضل، رقصوا، وفرحوا، وانفض الجمع ولم يبقَ سواهما في غرفةٍ ببابٍ شبه مغلق! أليس على العروسين أن يباركا لبعضهما بعيدًا عن الأعين؟!

زمجر قلبها في صدرها راغبًا بالصراخ ولكنها أمسكت به بقوة، أما هو فلم يفعل هي زوجته الآن! تلك التي اختارها برغبته الكاملة لتحمل اسمه وتصبح أمًا لأولاده، تلك الشهور التي ارتبطا بها كانت كافية لتكون لديهما مشاعر قوية تجاه بعضهما.

حين تتقرب من شخصٍ جيد ستجد نفسك واقعًا في حبه مع الوقت خاصةً لو كنت ناويًا على الزواج به وسامحًا لنفسك بالشعور

بكل شيء. وهو الآن يحبها وزوجها، وهي حلاله الذي انتظره كثيرًا وإن لم يكن مستعدًا له.

-مبارك ناردين.

قالها مبتسمًا فابتسمت هي الأخرى باتساعٍ وهي تشعر أنها تحبه أكثر وأكثر، أيمكن للفتاة أن تحب رجلًا بشكلٍ أعمق كلما نظر إليها؟ هل تساوي النظرة وحدات حب؟ نعم، يمكن هذا.

اتسعت عيناها وهي تراه يقترب منها ليمسك ذراعيها بيديه ويقربها منه قبل أن يميل طابعًا قبلة عميقة على جبهتها. لمسته الأولى لها في منزلها حيث عائلتها بالخارج والجميع يعرف، يالا الروعة!!!

ترك ذراعيها ليحيط بكليتها ضامًا إياها لصدره بخفة فارتبكت بشدة ولكنها لم تعترض فهذا ما رغبت به على أي حالٍ،

أما هو فكان يختبر شعوره في تلك اللحظة؛ لقد ضم والدته وشقيقتيه كثيرًا من قبل ولكن الأمر مختلف تمامًا الآن؛ هل يمكن أن تغادر الروح الجسد لتسكن جسدًا آخر من مجرد تلامس كهذا؟ لمَ يشعر بأنه يريد ضمها أكثر؟ وما المانع من هذا؟ فليضمها للأبد، ليس هناك من يمنعه، وهي ملكه وستكون معه للأبد.

بتفكيره هذا ضمها بقوة أكبر شاعرًا بكيانها يلامس كيانه وروحها تغادر مع روحه ليحلقا معًا فوق رأسيهما، حين يتعدى الأمر مجرد لمسة وهمسة وقتها ستدرك أنك في الطريق الصحيح مع الشخص الصحيح، هذا الذي اختاره الله لك لتقضي معه عمركز

-مبارك ناردين.

قالها مرة أخرى ولكن بنبرة أكثر دفئًا وإحساسًا أكثر عمقًا، فلم تجبه هي لن تقطع هذه اللحظة أبدًا ولو كان هناك زلزال سيهدم البيت فوق رأسيهما. لن تبتعد عن صدره الدافئ ولن تحرم أنفاسها من رائحة عطره الرائعةن هل يضع هذا العطر دومًا؟

-أتأتين معي؟

سألها بعبثٍ لتهمس دون فهمٍ:

-إلى أين؟

-لا أدري، ولكني لست مستعد للابتعاد عنكِ الآنز

كانت نبرته صادقة للغاية لدرجة أنها شعرت برغبةٍ في البكاء وأيضًا لم ترد، للأسف لم يحدث زلزال ولكن الطرقات على باب الغرفة كانت كافية لتخرجهما من هذه اللحظة الرائعة، والطارق لم

يكن سوى صديقتها المتطفلة عديمة الذوق والتي دخلت قائلة بابتسامة مشاكسة:

-والدك يريد سيف في أمرٍ عاجل، أيمكنه الخروج إليه؟

تحرك (سيف) مبتعدًا عنها قائلًا شيئًا لم تفهمه فقد كانت مازالت هائمة بسبب هذا الحضن الرائع، وقفت أمام صديقتها مبهورة الأنفاس للتحدث بعد لحظاتٍ قائلة بحالمية شديدة:

-لقد ضمني لصدره، أخيرًا وجدت من يحتضني غير أبي يا جوان، لقد كنت فاقدة للأمل تمامًا.

رفعت (جوان) حاجبها ضاحكة بريبةٍ لقد جُنت صديقتها أخيرًا.

***

تمر علينا الليالي متشابهة، لا يوجد حدثٌ مثيرٌ في معظم الأحيان ولكنهما الليلة لم يشعرا بالرتابة المعتادة؛ لقد كانا سعداء لدرجة أنهما لم يستطعا النوم وكل ما فعلاه هو الحديث.

كلًا منهما مستلقيًا على سريره ويفصل بينهما مسافاتٍ طويلة إلا أنهما كانا ملتصقين ببعضٍ بروحيهما، صوتهما المنساب عبر الأسير وابتسامتهما الواسعة جعلتهما بهجة للعين حتى وإن لم يرهما أحد.

-ألم يكن من المفترض أن أُقبل زوجتي كنوع من الترحيب بها في حياتي؟

سأل بمكرٍ لتجيبه بمشاكسةك

-لقد فعلت.

رفع حاجبه يفكر متى فعلها؟ أتسمين تلك اللمسة المحتوية على جبهتها قبلة؟

-أنا أقبل أمي هكذا يا ناردين، بالتأكيد كان لدي أحلام أخرى مع زوجتي.

قالها ضاحكًا لتهز هي كتفيها قائلة بلامبالاة مصطنعة:

-أنا لم أمنعك.

أعتدل في فراشه قائلًا بلهفة:

-ألا تمانعين حقًا؟

أصدرت تأوهًا مصطنعًا وكأنها نادمة ثم أجابته ببساطة:

-حقًا لم أكن سأمانع لو فعلتها حين ضممتني، ولكن للأسف لم يعد لديك هذه الفرصة الآن، لقد خسرت محاولتك الوحيدة حين تصرفت بنبلٍ واحترام.

-ماااااااذاااااا؟

سأل صارخًا بذهولٍ لتقهقه هي بقوة جعلته يتوعدها في سره.

***

من عادته دومًا أن يتصفح مبكرًا على هاتفه قبل الذهاب للعمل ويمر على مواقع التواصل قبل أن ينهض من فراشه فهذا يساعده على الاستيقاظ بشكل أسرع، ولكنه لم يكن يعلم إنه سيجد ما يحرق دمه منذ الصباح لقد وجد منشورًا منها بكلماتٍ مقتبسة من نزار قباني تقول:

"الحب للشجعان، الجبناء تزوجهم أمهاتهم."

كانت العبارة مهينة بشكلٍ كبير إليه؛ فهو قد زوجته أمه حرفيًا ولكنه أدرك أنها متعمدة إغاظته وليس إهانته، أيقتلها؟ أيعود ليقبلها ويخبرها كيف تكون الشجاعة؟ أيطالبها بأن تأتي لمنزله في التو واللحظة لتبقى معه للأبد ووقتها يخبرها كم هو محب؟ أم يرد لها الصاع صاعين بطريقة غير مباشرة؟

بحث في هاتفه عن مقولات نزار قباني علّه يجد شيئًا يشفي غليله، وسرعان ما وجد غايته فتحركت أنامله لتكتب بتشفٍ تعليقًا على

منشورها ولكنه تراجع في اللحظة الأخيرة وقرر كتابته كمنشورٍ حتى لا تراه إحدى صديقاتها وتذلها فيما بعد، هو مدرك لتفكير الفتيات: "فاتنٌ وجهك لكن في الهوى ليس تكفي فتنة الوجه الجميل"

بعدها نهض من فراشه مبتسمًا بمكرٍ ليستعد للذهاب لعمله.

***

جلست في الحافلة الصغيرة التي ستقلها للعمل وفتحت هاتفها لتتصفحه متلهفة لمعرفة إن كان (سيف) قد رأى منشورها أم لا، لتجد منه مجرد إعجاب صغير مغيظ على المنشور فابتسمت باتساعٍ مدركة أنه مر من عندها، لقد أرادت إغاظته؛ لأنه لم يجرؤ على تقبيلها في منزلها ومتيقنة من أنه لن يفعل قبل الزفاف وهذا يعجبها للغاية ولكن لا بأس من بعض العبث. اتسعت عيناها فجأة وهي ترى منشوره! هل يرد لها الوغد إغاظتها؟!! الفتنة لا تكفي الهوى ها! ليثبت هذا إذن ويثبت على رأيه.

***

جلس في منزلها ينتظر خروجها إليه وقد ترك والدها الغرفة لهما ليتحدثا براحة، كلما تذكر غضبها في الهاتف حين تحدث معها يشعر برغبة في الضحك؛ المجنونة اتهمته بأنه يتعمد أن يشعرها بقلة الثقة في نفسها ويخبرها بطريقةٍ غير واضحة إنه لا يحبها، إن كان لا يحبها لمَ يجلس هنا الآن ليراضيها رغم إنه لم يكن ينوي القدوم لمنزلها اليوم؟!

فُتح الباب فتعلقت أنظاره به لتتسع عيناه فجأة حين وقعت عليها ورأى ما ترتديه؛ هذه حرب غير عادلة مطلقًا!

وقف ليستقبلها فجلست هي بعيدًا عنه بلامبالاةٍ واضعة ساقًا فوق أخرى لينحصر ثوبها الرمادي لفوق ركبتيها بقليلٍ، ثم نفضت شعرها من على كتفيها ليظهرا له بوضوح وقد كان فستانها بحمالاته الرفيعة لا يخفيهما.

لم ينطق بكلمة ولم يجلس حتى بل وقف يتأملها مشدوهًا وكأنه لم يرَ أنثى في حياته من قبل؛ شعرها المنساب حتى منتصف ظهرها، قدها الناعم الذي وضحت تفاصيله، بشرتها الخمرية الذي يشعر برغبة في تقبيل كل شبرٍ منها الآن، وملامحها الحبيبة الباردة بتصنعٍ في هذه اللحظة، كل هذا جعله منبهرًا وهو المسكين الذي لم يتقرب

من أنثى من قبل، ألا يحق له الاقتراب ولو لبضع دقائق لينعم بما أنعم الله به عليه؟!

-حبيبتي.

قالها بصوتٍ متحشرج لترفع هي حاجبها باستحسانٍ، الآن أصبحت حبيبته! ألم تكن الفتنة غير كافية؟

-لمَ تجلسين بعيدًا هكذا؟

سألها بتحشرجٍ لتجيبه بلامبالاةٍ مصطنعة:

-أنا مرتاحة هكذا، أجلس مكانك لنتحدث، لم أكن أتوقع قدومك!

جلس كما كان مخفيًا تأثره بشق الأنفس، يبدو أنه نسى لماذا أتى إليها.

-هل أنتِ غاضبة مني؟

سأل بحنان مبتسمًا فكادت تركض إليه قائلة أنها ليست كذلك، كيف يمكنها أن تغضب منه حين يتحدث بهذه اللهجة القاتلة لأي فتاة. الحنان والاهتمام يا أعزائي، هما الطريق لقلب الفتاة، يمكن لأي شابٍ الحصول علىَ من يريد بهذه الطريقة ومن دون عناء.

-ألن تجيبي؟

سأل بحاجبٍ مرفوع لتنظر هي له عابسة، ولكن سرعان ما تبدلت نظرتها لأخرى مغرية فأجابت برقة شديدة:

-هناك شيء أريد أن أسأل عنه؟

توجس من نبرتها ف(ناردين) ليست رقيقة مطلقًا رغم أنها أحيانًا تكون مهلكة بأنوثتها إلا أنها أبدًا ليست رقيقة.

-ماذا؟

سأل بحذرٍ لتحرك هي ساقها الموضوعة فوق الأخرى بدلالٍ فتصدر عنهما رنة مميزة.

-هل ترتدين خلخالًا يا ناردين؟

سأل مشدوهًا؛ فهو لم يظنها أبدًا هكذا، هي شقية ومرحة نعم، ويحبها لا جدال ولكن إن كانت بكل هذا الإغراء أيضًا فهذا كثير والله، يشعر إنه أبله الآن؛ لأنه منبهرٌ بمجرد خلخال ولكن لا بأس.

أما هي فكبحت ابتسامة ماكرة، ليس من عادتها مطلقًا ارتداء خلخال، كما أنها لا تجلس في منزلها هكذا وتفضل المنامات الطفولية المريحة، ولكن حين علمت أنه قادم أرادت أن تبهره وترى إن كان

سيتأثر أم لا؟ رغم أنها لم تفعل أي شيء سوى فرد شعرها وارتداء فستان شبه محتشم، ماذا إن فعلت المزيد إذن؟ هل سيسمعها الأشعار!

-ألن تسمع سؤالي؟

سألت بحاجب مرفوع وابتسامة هادئة ليتنحنح هو منتبهًا إليها باهتمامٍ:

-لقد رأيت لك مقطعًا على الإنترنت وأنت ترقص عاري الصدر وسط مجموعة من الفتيات الشبه عاريات، أظنك كنت في الساحل مع أصدقائك، هل هذا تصرف طبيعي؟

اتسعت عيناه بدهشة؛ لقد مر شهران على رؤيتها لذلك المقطع ولم تعلق مطلقًا فظنها نسيت الأمر، هل تبحث له عن خطأ؟

-ما الذي ذكرك بهذا الأمر الآن؟

سأل بحذرٍ لتجيبه ببعض الدهشة:

-ذكرني، أنت تعلم إنني رأيته إذن؟!

خير وسيلة للعيش مرتاح هي الصراحة مع الفتاة المرتبط بها؛ صراحة نعم، ولكن ملتوية وبها بعض الخداع، البعض فقط وليس الكثير حاشا لله!

-لقد كنت أمرح مع أصدقائي، أين المشكلة؟

كتفت ذراعيها فبرزت معالمها الأنثوية أكثر ثم أجابت بتحدٍ:

-هذا الأمر غير مقبولٍ عندي يا سيف، لا أريد من زوجي أن يرقص هكذا في أي مكانٍ ووسط المنحلين أخلاقيًا.

-لن يتكرر الأمر لا تقلقي.

قالها ببساطة لم تكن تتوقعها فشعرت بالغيظ، على ماذا ستوبخه الآن؟

-لماذا أتيت؟

سألت بفظاظة ليرقص حاجبه قائلًا بمشاكسة:

-لأرى زوجتي الفاتنةز

كلمة "فاتنة" أثارت المزيد من حنقها فهتفت بما يشبه الصراخ:

-أتراني فاتنة؟

قهقه مدركًا سبب عصبيتها فلم يزد واكتفى بأن يقول بصدقٍ:

-اشتقت إليكِ، ألا يمكنني القدوم في أي وقتٍ حين أشتاق؟

تسارعت دقات قلبها بحماقة، تبًا لضعفها تجاه الكلمات العذبة، هي التي لم يخبرها أحد يومًا إنه اشتقاها تسمعها الآن بكل هذا الصدق والحميمية، كيف عليها ألا تتأثر وقد عانت لفترة طويلة من الجفاف العاطفي وسط صديقاتها اللاتي تمرغن في الحب والعاطفة.

-سيف.

نادته بهمسٍ لا تدري لما فنظر لها بتساؤل ولم تنمحِ ابتسامته:

-شكرًا لك على كل شيء.

قالتها بنبرةٍ حالمة فلم يدرِ سبب شكرها، لو كانت (جوان) هنا الآن لصفعتها حتى تستفيق وأخبرتها أن الحب والسعادة من حقها، أن الرجل زوجها وعليه قول الكثير مجبرًا ومحبًا يالها من حمقاء.

-هل مازلتِ غاضبة مني؟

سأل باهتمامٍ لتعقد هي حاجبها قائلة بانتباهٍ:

-لمَ تظن أنني غاضبة؟ كيف عرفت بالأمر؟!!

-بسبب المنشور.

قالها كابحًا ضحكته لتصرخ هي به:

-إذن أنت تعمدت فعل هذا لتغيظني يا عديم الضمير.

-ألم تفعلي المثل؟

سأل ببراءة شديدة فزفرت بحنقٍ، هي من بدأت وعليها تحمل العواقب:

-أنت تنتقم إذن!

قالتها بابتسامة شديدة البرود ليغمزها قائلًا:

-مازال أمامنا شهر حتى موعد الزفاف، لننهي بعض الجولات معًا قبل أن نبدأ جولات من نوع آخر.

شعرت بمعنى وقح في كلماته ولكنها لم تعلق بل اكتفت بإلقاء نظرة شريرة له جعلتها يضحك من جديدز

***

في الليل وكعادته استلقى ممسكًا بهاتفه قبل أن ينام، تلك العادة التي لم يستطع التخلص منها أبدًا فلا يجد سبيلًا للنوم سوى بعد قراءة بعض المنشورات والرسائل على هاتفه، ولكن الأمر زاد الآن وقد أصبح للتصفح متعة جديدة؛ متعة مراقبتها من العالم الافتراضي، هي التي تشارك عشرات المنشورات في الساعة حتى

أصبحت صفحته ممتلئة بما تنشره. مر عليه منشور به الكثير من صور الفساتين المبهرة عارية الظهر والتي نشرتها كاتبة عليها: "أنا واقعة في غرام الفساتين مكشوفة الظهر". رغمًا عنه مرت بباله مرتدية أحدهم وشعرها ينساب مخفيًا جزءًا من ظهرها فشعر ببعض الحرارة تغزوه والتقط صورة للشاشة وأرسلها لها قائلًا بسخرية عابثة:

-لقد علمت ذلك وسأكون حريصًا على الاهتمام بغرامك، ولكن امسحي المنشور الآن؛ لأنه يوحي بالكثير.

فتحت رسالته لتعقد حاجبيها وتكتب بعدم فهمٍ:

-من أين تأتي بهذه الأفكار بحق الله؟

جاءها رده اللامبالي:

-أنا أفكر كرجلٍ؛ حين رأيت الصور والكلام رغمًا عني تمنيت رؤيتك بفستان عاري الظهر.

رغم خجلها منه إلا أنها كتبت بتحدٍ:

-هذا لأن تفكيرك منحرف كما أنك زوجي، لمَ سيفكر بي شخص ما لمجرد جملة بسيطة كتبتها؟ هل أنت مريض؟

ضيق عيناه وهو يقرأ كلماتها ليشعر بالضيق رغمًا عنه، ألا يمكنها أن تنفذ ما يطلبه وتريحه دون جدال؟ ليريحها هو إذنز

تحركت أنامله على شاشة هاتفه ليكتب لها ببرود:

-افعلي ما تريدين يا ناردين.

أغلق هاتفه وتركه بجانبه ثم أغمض عينيه ليغرق في النوم بسرعة وقد كان منهكًا للغاية. أما هي فضايقتها رسالته للغاية؛ لقد أصبحت تدرك شخصيته جيدًا وتعلم أنه ليس راضيًا الآن؛ لذلك كتبت له لتريحه وليس لأنها مقتنعة بالأمر مطلقًا:

-لقد مسحتها يا سيف ولكني لستُ مقتنعة.

انتظرت بصبرٍ أن يرد عليها ولكنه لم يفعل، هل يتجاهلها؟ أغضب لأنها لم تقتنع برأيه؟ فليحترق في الجحيم إذن هي لن تتخلى عن قناعتها من أجله. رمت هاتفها على الفراش وأغمضت عينيها تنوي النوم ولكن هيهات لم يأتِ إليها النوم رغم إلحاحها في طلبه، زفرت بعنفٍ وأمسكت بالهاتف من جديد لتعاود الكتابة بقهرٍ:

-هل ستفعل هذا دومًا؟ أستخاصمني لأنني لم أقتنع بشيءٍ معين رغم رضوخي لرغبتك؟

أيضًا لم يأتيها منه إجابه وهي عرفت أنها لن تنام إلا عندما يجيبها، ستحيل حياته لجحيمٍ إن لم يفعل!

-يا سيف وجهة نظرك غريبة، ثم أنني ليس عندي الكثير من الشباب، وحتى لو كان هناك الكثير فهم لن يفكروا فيّ هكذا، لقد فعلت أنت لأنني زوجتك وهذا حلال وتعرف أنك ستراني هكذا يومًا ما.

كان يظهر لديها أن الرسائل تصل، وربما يكون قد رآها أيضًا ولكن لن تعرف بسبب تلك الخاصية المقيتة التي يوفرها التطبيق ولم تيأس هي وكأي فتاةٍ أصيلة استمرت في كتابة الرسائل دون يأسٍ.

***

استيقظ من نومه مفزوعًا على صوت والدته التي تصرخ به قائلة أنه تأخر على العمل، تبًا لقد نسى ضبط منبه هاتفه في غمرة غيظه من (ناردين)، في خلال عشرين دقيقة كان يخرج من منزله متعجلًا لقد تأخر أكثر من اللازم، تسمر بمكانه فجأة حين وجد (ناردين) تقف مستندة على سيارته واضعة نظارة شمسية على عينيها تخفي نظراتها الغاضبة. اقترب منها بسرعة قائلًا بقلقٍ شديد:

-ماذا حدث؟ لمَ أتيتِ في هذا الوقت؟

-أنا أنتظرك منذ أكثر من ساعتين يا سيف، لمَ لم ترد على رسائلي؟

سألت بعضبٍ فعقد حاجبيه قائلًا بعدم فهمٍ:

-أي رسائل؟

مدت يدها لتأخذ هاتفه من يده وفتحته مشيرة للإشعارات الموجودة على الشاشة الخارجية والتي تدل على وجود رسائلها الكثيرة فزفر هو بإحباط قائلًا:

-لم أرها أقسم لكِ، أنا متأخرًا على عملي الآن، سنتحدث فيما بعد.

-ماذا سيحدث إن لم تذهب اليوم؟

-سيخصمون من راتبي.

قالها ببديهية لتسأله مجددًا باهتمامٍ:

-لو خصموا من راتبك هل ستستطيع العيش بيسر طوال الشهر أم سيكون هناك أزمة؟

-لن يحدث مشكلة، لدي دخل آخر على أي حالٍ، لمَ تسألين؟

اتسعت ابتسامتها قائلة:

-لا تذهب إذن وهيا لنفطر معًا ونتناقش فيما حدث بالأمس.

رفع حاجبه من بساطة الأمر لديها، حسنًا، لقد تأخر ومن الأفضل ألا يذهب، لن يخسر الكثير بل سيكسب رفقتها.

-أليس لديكِ عمل؟

سأل مبتسمًا لتجيبه وهي ترفرف بعينيها ببراءة مصطنعة:

-أنت أهم من العمل.

-يا له من صباح رائع.

قالها ضاحكًا ثم فتح السيارة لتجلس هي بداخلها قبل أن يلحق بها وقبل أن يتحرك سألها:

-ماذا تقصدين أننا سنتناقش بما حدث بالأمس؟

-عن المنشور، لم أقتنع بأنه يوحي بأي شيء.

-ألا تظنين أن الأمر أتفه من أن تأتي لي صباحًا من أجله؟

سأل بعدم تصديقٍ لتجيبه بقنوطٍ:

-لم أستطع النوم طوال الليل وأنا أفكر بأنك تتجاهلني من أجله، الأمر مهم بالنسبة لي.

ابتسم بحنان قائلًا:

-أنتِ مجنونة يا ناردين.

-هل تمانع؟

سألت بتحدٍ فأومأ نافيًا قبل أن يسألها بجدية:

-أتذكرين من أي مكان شاركتِ المنشور؟

-نعم، لقد كان من صفحة شهيرة يتابعها الآلاف.

-حسنًا، هذا رائع، افتحي الآن الصفحة وابحثي عنه.

فعلت ما قاله وحين وجدت المنشور أخذ منها الهاتف ثم اقترب منها لتشاهد معه الإثبات على كلامه؛ فتح التعليقات على المنشور وكما توقع لم يخب أبناء جنسه أمله وقاموا بالواجب على أكمل وجه، رأى الكثير من التعليقات الوقحة على الفساتين وكلما كتبت فتاة تعليق بأنها تحبها رد عليها الكثيرين وكان (سيف) يشير ل(ناردين) على هذه التعليقات فهتفت باعتراضٍ:

-الأمر لا يتعلق بنا إذن، هم مجرد أوغاد بتفكيرٍ قذر.

هز رأسه بيأسٍ منها ثم فتح أحد الردود على تعليق فتاة تقول أنها تحب هذا النوع من الفساتين ليجد أحد الشباب مجيبًا بوقاحة:

"أنا متحمس لرؤيتك بهذا الفستان، ألديكِ صورة وأنتِ ترتدين مثله؟ أيمكنني أن أحدثك بشكل خاص؟"

لم يكن هذا الشاب فقط هو من رد عليها، بل كتب شخص آخر بوقاحة أشد:

"أتحبين الفساتين مكشوفة الظهر؟ ماذا عن مكشوفة الصدر إذن؟"

شهقت (ناردين) من التعليق الأخير فالتفت (سيف) إليه قائلًا برقة رجولية:

-صباح الفل.

تأملته للحظات من هذه المسافة القريبة قبل أن تهمس له بحقدٍ:

-أنتم عالة على المجتمع.

-وما ذنبي أنا؟

سأل باستنكارٍ لتشيح هي بيدها بعدم رضا فأمسك هو بكفيها ليقبل باطنها بعمق جعلها ترتبك وهي تشعر بملمس شفتيه على يدها، ثم رفع رأسه سائلًا بعبثٍ:

-أتحبين الفساتين مكشوفة الظهر؟

أرادت سحب يدها من بين يديه ولكنها لم تقدر واكتفت بهز رأسها نافية ليضحك هو قائلًا:

-لقد تعلمتِ الدرس ولكنك تطبقيه مع الشخص الخطأ.

***

الحب ليس له قواعد، وليس له وقت مناسب، هو فقط شعور يرفع الإدرينالين دون سببٍ واضح، يسرق أنفاسك أحيانًا ويبثها لك أحيانًا أخرى، استسلم أيها العاشق فليس بيدك شيء على أي حالٍ!

وهي كانت تغرق معه أكثر وأكثر بقلبٍ نظيف وخالٍ جاهزًا لاستقبال رجلها الأوحد، فتحت ذلك الفيديو الذي وضعته شقيقته في حالتها على برنامج المحادثات الشهير لتراه للمرة الألف وتبتسم نفس الابتسامة التي تتبعها عدة ضحكات؛ كان (سيف) به يغني بصوتس مريع حاملًا شقيقته (مريم) على كتفه ويدور بها بهيئة قد تبدو مريعة للبعض ولكنها عشقتها؛ لأنها عفوية، بينما كلمات الأغنية لا تتلاءم مطلقًا مع رقصه المجنون وضحكات شقيقته المتشبثة به تخشى السقوطن يا ألله، كم ترغب بأن تكون هناك الآن لتشاركهما هذه اللحظات هي الأخرى!!

أطلقت ضحكة وهي تنتبه لكلمات الأغنية التي تعالى صوته بها:

(وبما إن القلوب سودا وتشغيل الدماغ موضة
وسكك الحب مسدودة هعيش وحدي
وبما إن المحبة كلام وظلم الناس معادش حرام
مدام الصح بقا أوهام هعيش وحدي
هعيش مع نفسي واتأقلم ومش هتعب
هعود روحي على روحي ومش هغلب)

شردت للحظات مفكرة به؛ الوغد أحال حياتها لجحيمٍ خلال أسبوعين، يتعمد الاتصال بها في منتصف الليل وهي نائمة رغم علمه أنها تعشق النوم ليسألها عن أمورٍ تافهة، لم تكن تتوقع أنه سينتقم منها لأنها ضايقته قليلًا، على الأقل ظنته سيستخدم طريقة أخرى غير طريقتها ولكن من حفر حفرة لأخيه وقع فيها، ولم يكتفي بهذا بل جعلها تتغيب عن عملها لأكثر من أربع مرات من أجل أشياء غريبة وغير مبررة، ولكنها رغم هذا كانت مستمتعة للغاية، الجحيم بقربه جنة وهذا ما قالته ل(جوان) وتحملت بعدها كم العبارات الساخرة التي أمطرتها صديقتها عليها.

لم يتبق سوى عشرة أيام على موعد الزفاف، كل شيء أصبح جاهزًا ولكنها مشغولة للغاية وكل يوم تدرك أن هناك ما فاتها، لقد تحدثت مع (سيف) وأخبرته برغبتها في تأجيل موعد الزفاف ولكنه لم يعيرها اهتمامًا، وأخبرها أن جميع الفتيات يشعرن بهذه الرغبة كلما تقدم موعد زفافهن.

تركت الهاتف من يدها وفتحت حاسوبها لتكمل مشاهدة المسلسل الذي تتابعه وبعد دقائق، وبينما كانت مندمجة للغاية تعالى رنين هاتفها ففتحته ووضعته على أذنها وهي تجيب بدون تركيز وعيناها معلقتان بالمشهد الموجود أمامها:

-ماذا تفعلين؟

سألها بحيرة حين وجدها هادئة على غير العادة لتجيبه هي ببساطة:

-أشاهد مسلسلًا.

-أي مسلسل؟

سأل بنزقٍ فلم تجبه بل اتسعت عيناها شاهقة بقوة حين وجدت من يصوب سلاح على البطل بتهديدٍ لتصله شهقتها تلك فيسأل بقلقٍ:

-ماذا هناك؟

-يا إلهي، سيقتلونه يا سيف!!

جز على أسنانه سائلًا بغضبٍ مكتوم:

-أنتِ لا تتحدثين عن المسلسل أليس كذلك؟

لم ترد بل اهتمت بالمشهد أكثر فأغلق هو الهاتف داعيًا ربه بأن يلهمه الصبر، لقد ظنها لا تتأثر بتلك الأمور ولكن أتضح مع الوقت أنها تشبه شقيقاته ووالدته للغاية وكأنه ينقصه المزيد.

***

أما هي فقد حمدت ربها حين أغلق المكالمة لتتابع مسلسلها بتركيزٍ أكبر ولكن والدتها لم تتركها هانئة ودخلت الغرفة لتجلس بجانبها على الفراش قائلة بهدوءٍ:

-أيمكننا الحديث قليلًا؟

زفرت (ناردين) بقوة وأغلقت الحاسوب بنزقٍ لن ترى أي شيء.

-ماذا أمي؟

سألت بهدوءٍ لتجيب والدتها مبتسمة:

-ألا تريدين سؤالي عن أي شيءٍ يخص الزواج؟

عقدت حاجبيها بريبة، هل ستتحدث معها والدتها عن العلاقة الجسدية كما من المفترض أن تفعل كل أم؟ ستقتل نفسها إن نطقت والدتها بشيءٍ عن هذا الأمر، ليس هناك داعٍ أساسًا؛ فهي تعلم الكثير وربما أكثر من والدتها نفسها وهذا ما يجعلها دومًا تشعر أنها لديها ميولًا انحرافية، لا تتذكر من أين أتت بكل هذه المعلومات الدقيقة والخبرة في كل شيء؟!! ستكون فضيحة لو علم (سيف) بالأمر، ماذا سيقول عنها الرجل؟ لقد تزوج من فتاة "خبرة" بالمعنى الحرفي.

نظرت لوالدتها تريد المشورة ولكنها لم تنطق بحرفٍ؛ فالأمر محرج للغاية حتى لو كانت ستتحدث به مع أمها. أمسكت والدتها بيدها لتبدأ الحديث دون تردد قائلة بابتسامة:

-الزواج يا حبيبتي، مؤسسة كاملة تحوي العديد من الأمور، لقد أخذتِ أول خطوة في تأسيسها باختيار الرجل المناسب لمساعدتك وعليكِ الآن أن تعرفي بعض القواعد التي ستجعل مؤسستك ناجحة.

لم تكن (ناردين) تشعر بحاجتها لهذا الحديث فهي قادرة على إنشاء أسرة سعيدة دون أية تعليمات، ولكنها استمعت للأكبر علها تجد مالا تعرفه، وأكملت والدتها الحديث تخبرها كيف أن سعادة زوجها ستجعلها هي الأخرى سعيدة، وكيف عليها ألا تضغط عليه في أمور معينة، وأن المشاكل بينهما لابد ألا تخرج خارج جدران منزلها، وألا تدع مجال للشيطان ليفرق بينهما، أعطتها الكثير من النصائح التي جعلتها تدرك أنها لم تكن تعرف أي شيءٍ عن الزواج.

-هل يقتل الزواج الحب أمي؟

سألت باهتمام لتصمت والدتها للحظات قبل أن تجيبها ببساطة :

-الحب الحقيقي يأتي بعد الزواج؛ لأن وقتها يكون مبنيًا على أسس صحيحة ويكون كلا الطرفين على معرفة وثيقة بالآخر، لقد أحببت والدك قبل الزواج، نعم، ولكني شعرت به رجلًا آخر تمامًا بعد الزواج، المرأة الذكية هي من تتخطى كل العواقب في بداية زواجها وتعتاد على زوجها بسرعة وتجعله يعتاد عليها هو الآخر.

-هذه ليست إجابة واضحة يا أمي.

قالتها بضيقٍ لتضحك والدتها قائلة بصراحة:

-حسنًا، الزواج يقتل جزءًا من الحب ولكنه يقتل الجزء الغير مهم، ليحتل بدلًا منه المسئولية والأمور الأهم، سيحبك زوجك بطريقة أخرى فهو لن يجد تلك الرائعة التي تقابله بكامل أناقتها وعقل فارغ لتستمع إليه بل سيجد زوجة لديها الكثير لتعتني به غيره، وقتها سيحبها أيضًا ولكن بشكل آخر، إذن الزواج لا يقتل الحب بل يعيد برمجته.

أومأت (ناردين) بشرود وهي تفكر إن كان (سيف) يحبها أساسًا أم لا، هل سيتغير شيء؟

نظرت لوالدتها سائلة بلهفة:

-هل هناك رومانسية حقًا كما أرى في المسلسلات والأفلام؟

رفعت والدتها حاجبها قائلة ببديهية:

-الأمر بيدك حبيبتي، لم يدخل أحد بيوت الناس ليرى علاقة الأزواج، كل امرئٍ يقرر بنفسه من خلال تجربته الخاصة؛ مثلًا هل ستسمحين لزوجك باحتضانك في المطبخ كالأفلام؟ أم ستطردينه لأنك تطهين الطعام أو تخشين على ثيابه من الوسخ أو لأنك تشعرين بالحر؟

فكرت (ناردين) في الأمر، ما المشكلة إن احتضنها في المطبخ، ليحترق الطعام ولتذوب من الحر ولتتسخ ثيابه لا بأس!

انتبهت لباقي الحديث لتجد والدتها تسألها:

-هل سترتدين منامات رقيقة بسراويل قصيرة لتبهريه؟ أم ستجلسين بجلبابٍ قطني مزري؟ مبادرتك أنتِ ستجلب استجابته سواء كانت إيجابية أم سلبية.

-وماذا سيفعل هو إن كنت سأهتم أنا بكل هذا؟ هل سيستمتع فقط؟

سألت بغيظٍ لتجيب والدتها بهدوءٍ:

-بالطبع سيفعل الكثير فهو الآخر لديه مسئوليات وعليه واجبات، عليه أن يجعلك سعيدة وآمنة ويلبي لكِ كل رغباتك المعقولة، الزواج أخذ وعطاء وليس لأحدٍ فضل على الآخر ولكن عليكِ أن تري هذا بنظرة حيادية وتكوني سكنًا له وموطنًا آمنًا يعود إليه كلما شعر بالسعادة أو الحزن، تقبلي مشاكله بتعقل ولا تجزعي فتزيدين همه، وبالغي في الفرح بنجاحه ليشعر بالامتنان لسعادتك تلك ويفتخر بنفسه، ثقي به ليكن صادقًا وأعطيه الحرية ليلتصق

بكِ. الرجال يا ابنتي يشبهون الأطفال كثيرًا؛ أحيانًا يحتاجون اهتمامًا، وأحيانًا يكون الإهمال هو الحل، مع الوقت سيكون لديكِ الخبرة لتعرفي كيف تتعاملين مع زوجك. أومأت بتفهم وهي تطلق تنهيدة عميقة ليدور الحديث بسلاسة حتى تأخر الوقت وسقطت نائمة بجانب والدتها التي دثرتها جيدًا وغادرت لغرفتها.

***

رنين متواصل اعتادته كل ليلة أيقظها من النوم ففتحت الهاتف ووضعته على أذنها قائلة بنبرة باكية:

-حسبي الله ونعم الوكيل، لكل ظالم نهاية.

جاءها صوته المتحشرج من أثار النوم قائلًا ببراءة:

-هل هناك ما يضايقك؟

-ماذا تريد أيها الوغد؟

سألت صارخة ليبتسم هو بشرٍّ ثم سألها بجدية مصطنعة:

-ماذا تريدين أن يكون لون أوجه مفاتيح الكهرباء؟ أسود غامق بلون حياتي معكِ؟ أم أسود فاتح بلون حياتك معي؟

تأوهت شبه باكية بيأسٍ، ليتها فسخت الخِطبة ولم تتهور وتتزوج بهذا المجنون الذي يضبط منبهه كل ليلة ليستيقظ ويوقظها.

***

الفصل الخامس

بعد عودتها من مركز التجميل وفي وسط انشغالها بترتيب كل شيء لحفل الحناء الذي ستقيمه في المساء جاءها اتصاله فأجابت بسرعة وقبل أن تسمع صوته هتفت به بلهفة:

-هل علقت شفاط الهواء بالمطبخ؟

رفع (سيف) حاجبه قائلًا ببساطة:

-لم أفعل، أنا منشغل اليوم.

زفرت بقوة قائلة بعتابٍ:

-لماذا لم تفعل يا سيف؟ هل سنعيش في الشقة من دون الشفاط؟

-نعم، يا ناردين، يمكننا العيش من دون شفاط، هل تنوين طهي الطعام في أول زواجك؟

سألها ساخرًا لتهتف بسرعة:

-أقسم بالله لن أفعل، لا تحلم بهذا حتى!

قهقه (سيف) قائلًا بحنان:

-لا تفعلي، سنأكل من الخارج طوال شهرين، هل هذا جيد؟

-يا لك من رجل رائع، أنا محظوظة بك.

قالتها ضاحكة ليبتسم هو ويودعها مقررًا الاهتمام بحفل حنته هو الآخر، أما هي فخرجت تنادي على والدتها قائلة:

-أمي، هل جهزتِ الطعام الذي سأتناوله أنا وسيف في الأيام القادمة.

ضحك والدها قائلًا بسخرية مرحة:

-لقد جهزت طعام يكفي قرية بأكملها يا ناردين، طمئني معدتك.

-وماذا عن الحلوى؟

سألت بلهفة ليجيبها ضاحكًا:

-هل أنتِ مهاجرة؟ يمكنك شراء ما تحتاجينه من أي مكانٍ.

-هل هذا الكلام معناه أنكم لم تشتروا لي حلوى؟

سألت مصدومة لتتدخل والدتها قائلة بحنان:

-سنشتري حبيبتي، مازال أمامنا يومان ولا يوجد مكان في الثلاجات لنحفظها لذلك أجلنا الأمر.

رفعت (ناردين) إبهامها علامة الإعجاب قائلة بلهجة قوية:

-أنا أثق بكِ أمي.

عادت لغرفتها تاركة والديها ضاحكين يدعوان لها بالسعادة.

***

بعد يومين:

يوم الزفاف:

استيقظ من نومه على رنين الهاتف وزغاريد والدته العالية هي وخالته وبعض فتيات العائلة، ما كل هذا بحق الله؟!!!

أمسك بهاتفه ليجيب على أحد أصدقائه المقربين والذي استعجله ليتقابلوا ويذهبوا مع الشباب لصالون الحلاقة؛ فقد تفرغوا له اليوم. نهض من فراشه وخرج من الغرفة ليجد العديد من البشر حوله فكاد يصاب بالفزع لولا شقيقته التي وقفت أمامه بابتسامة واسعة تشرح له بسعادةك

-لقد أتوا ليفرحوا معنا، لا تعترض على أي شيء اليوم وتسرق هذه الفرحة.

ضرب كفًا بكف وعاد لغرفته مرة أخرى حتى يتجهز للخروج، وقبل أن يفعل أخذ هاتفه ليتصل ب(ناردين) التي أجابته بعصبية:

-ماذا تريد الآن؟

رفع حاجبه من حدة صوتها أليس من المفترض أن يتصل بها اليوم؟

-ماذا تفعلين؟

-هل أنت متفرغ لمعرفة التفاصيل؟ لو كنت كذلك فأنا لستُ متفرغة مطلقًا، أنا هنا في أرض الجحيم أتريد القدوم؟

قهقه رغمًا عنه ثم سألها باهتمامٍ:

-ألم تذهبي لمركز التجميل بعد؟

-أنا هنا منذ الثامنة صباحًا.

قالتها صارخة بغيظٍ فاستغفر ربه بصوتٍ مسموع، ثم قال بغيظٍ:

-أنا آسف على سؤالي عديم الحياء، هذا خطأي اغفريه.

تنهدت بقوة محاولة أن تحصل على بعض الهدوء لتسأله بعدها :

-ماذا تفعل أنت؟

لم يخبرها بحقيقة أنه استيقظ للتو حتى لا تشعر بالظلم فتهرب قائلًا:

-لدي بعض الأمور لأنهيها، سآتي إليكِ في الرابعة والنصف.

-حسنًا.

قالتها براحة ليودعها مبتسمًا ويتحرك للحمام:

أما هي فأعطت الهاتف لصديقتها الواقفة بجانبها قائلة بغيظ :

-أنا واثقة من أنه مازال شبه نائم، أعرف صوته حين يستيقظ.

قهقهت (جوان) رغمًا عنها قائلة ببساطة:

-ماذا تريدينه أن يفعل، سيأخذ حمامًا ويرتدي حلته ويأتي إليكِ، أعليه أن يستيقظ مبكرًا كنوعٍ من المؤازرة؟

شعرت بالحقد عليه؛ لقد أتت لمركز التجميل لمدة أربعة أيام وغرقت بين العناية بالجسم والشعر حتى أصبحت كالباربي وتنبعث منها رائحة رائعة وكأنها آلة لتوزيع العطور، وتعبت من كل شيءٍ رغم استمتاعها الكامل وهو لم يفعل أي شيء، وحتى إن فعل فلن يفعل ربع ما فعلته هي يالا الحسرة.

***

أما هو فبعد بعض الوقت كان جالسًا في صالون الحلاقة ومن حوله أربعة من أصدقائه يمازحونه بوقاحة فتحدث (سليمان) قائلًا بمكرٍ:

-لا ترقص كثيرًا اليوم حتى ترفع رأسنا ليلًا.

نظر له (سيف) في المرآة الموجودة أمامه ببرود ليقهقه (سامح) قائلًا بعبثٍ:

-هل تحتاج لبعض المعلومات عن الأمر، أخبرني ولا تشعر بالحرج.

أطلق (سيف) سُبة بذيئة على عكس عادته يوبخ بها (سامح) فانفجر الجميع بالضحك وصمت هو داعيًا لنفسه بالصبر.

***

وقفت بفستان زفاف كلف (سيف) الكثير تنتظره ليدخل إليها وحين فعل وقف أمامها مصعوقًا من طلتها؛ لا يوجد عروس سيئة ولكن هي في نظره كانت الأروع والأكثر تميزًا وهذا ما جعله يقترب منها كالمنوم مغناطيسيًا، أما هي فتأملته ببهجة شديدة وقد كانت أكثر من راضية عن مظهرها وسعدت أكثر حين رأته أنيقًا بقصة شعر مميزة ولحية مهذبة.

-أنا حقًا منبهر بكِ اليوم.

قالها ضاحكًا بصدقٍ وهو يحيط خصرها بذراعيه يلصقها به غير مبالٍ بنظرات صديقتها الماكرة فوضعت هي كفيها على صدره قائلة بدلال:

-أنا جميلة في أي وقت يا سيف، ولكن أنت من يحتاج لنظارة حتى تراني جيدًا.

ابتسم بحنان دون ردٍ، ثم مال مقبلًا جبهتها وهمس لها بكلماتٍ حفظها من أجلها وقد عرف مع الوقت كم يعني لفتاةٍ مثلها أن يكون عاطفيًا ويثبت لها حبه بالكلام، هو الذي يرى التعبير عن المشاعر بهذه الطريقة مجرد سذاجة وميوعة تنازل من أجل الفتاة التي ستعيش معه دهرًا.

(لا تحسبين جميلةً جدًا

إذا أخذت مقاييس الجمال.

لا تحسبين مثيرةً جدًا.

إذا دار الحديث عن الغواية والوصال.

لا تحسبين خطيرةً جدًا.

إذا كان الهوى..

معناه أن تتحكم امرأةٌ بأقدار الرجال

لكن شيئًا فيك سريًا..

وصوفيًا.. وجنسيًا.. وشعريصا..

يحرضني.. ويقلقني.. ويأخذني

إلى ألف احتمالٍ واحتمال..

لا تحسبين جميلةً جدًا..

لكن شيئًا فيك يخترق الرجولة،

مثل رائحة النبيذ، ومثل عطر البرتقال.

شيئًا يفاجئني.

ويحرقني..

ويغرقني..

ويتركني بين الحقيقة والخيال

لا تحسبين جميلةً..

لكن شيئًا فيك مائيًا..

طفوليًا.. بدائيًا.. حضاريًا..

عراقيًا .. وشاميًا..

يكلمني..

ويرفض أن يجيب على سؤالي..

لا تحسبين جميلةً..

لكن شيئًا فيك أقنعني..

وعلمني القراءة، والكتابة،

والحروف الأبجدية

فإذا بسنبلةٍ تمشط شعرها في راحتيه

وإذا بعصفورٍ صغيرٍ جاء يشرب

من مياهي الداخلية

الله.. كم هو رائعٌ..

أن تصبح امرأةٌ قضية)

-نزار قباني-

ابتعدت عنه قليلًا لتنظر له قائلة بغيظ :

-أتقصد أنني لستُ جميلة؟ بعد كل هذا العذاب لا تراني جميلة؟

تعالت ضحكاته في المكان بشكلٍ هستيري لتبتسم هي رغمًا عنها قبل أن تسمعه يقول من بين ضحكاته:

-لا فائدة منكِ، ستظلين مجنونة للأبد.

***

حين خرجا من مركز التجميل وقف (سيف) واضعًا كفه على وجهه منتظرًا بصبرٍ أن تستقر (ناردين) بفستانها الضخم في السيارة، وحين انتهت أخيرًا راقب هو السيارة مذهولًا:

-أين سأجلس أنا؟!!

سألها ضاحكًا بدهشة لتهز كتفيها بلامبالاةٍ فسألها بنزقٍ:

-بالله عليكِ يا ناردين، ألم تجدي فستان أقل حجمًا؟ ما كل هذا؟

-سيكون رائعًا في الصور.

قالتها بأعين ملتمعة فابتسم هو رغمًا عنه، وأزاح الفستان قليلًا ليجلس في مكان صغير جعل صديقه الذي يقود لهما السيارة ينفجر ضاحكًا فضربه (سيف) من الخلف ضاحكًا هو الآخر.

صعد الجميع لسياراتهم بعد تحرك سيارة العروسين واتجهوا للمكان الذي سيلتقطون به الصور قبل الحفل وسط أصوات الأبواق ذات النغمة الموحدة حتى باقي السائقين الذين لا يعرفون

العروسين شاركوا بأبواق سيارتهم ليعم نوع من البهجة على الطريق.

وحين وصلا للمكان المخصص لجلسة التصوير أطلقت (ناردين) صيحة حماس جعلت (سيف) يحمد ربه لأنها لم تعترض على المكان، وبدأ المصور في التقاط الصور لهما بأوضاع مختلفة؛ مالت (ناردين) على (سيف) ضاحكة حين أطلق مزحة ما فالتقط لهما المصور صورة بهذا الوضع العفوي كانت الأروع من بين كل الصور.

***

كونوا حريصين دومًا على دعوة الكثير في حفل زفافكم، ادعوا جميع أصدقائكم المقربين والذين تعرفتم عليهم بالصدفة، ادعوا الجيران وأصدقاء الجيران، ادعوا كل من ترونه يمر بكم لأن هذا ما يجعل للعرس رونقًا.

مخطئ ذاك الذي يقول أنهم مجرد ساعتين ستقضونهم وينتهي اليوم بل هما ذكرى رائعة وفرحة لن تتكرر، ارقصوا كالمجانين والتقطوا العديد من الصور ولا تنسوا تناول كل ما تجدونه أمامكم.

التفت صديقاتها حولها في حلقة كبيرة يرقصن معًا، بينما (سيف) كان مع أصدقائه الذين أوشكوا على هدم قاعة الزفاف من كثرة الضجة، وحين اقترب (سيف) منها ذهب معه جميع الشباب مستغلين فرصة وجود الفتيات في الطرف الآخر وتقدم الأهل أيضًا ليروا ما يفعلونه هؤلاء المختلين، استغل منسق الأغاني فرصة وجود الجميع معًا ووضع أغنية اشتهرت في فترة ما ولكنها تعبر عن الكثير، ضم (سيف) خصر (ناردين) إليه ليرقصا بعشوائية ويستمعا للأغنية معًا مبتسمين.

(أنا شاب زي كتير في مصر

والمستقبل عايز زقة

أنا ولا أبويا وعدني بقصر

ولا تحويشتي تجيب شقة

متخرج من فترة كبيرة

ودورت في ساقية أكل العيش

كم شغلانة يادوب تصبيرة

لغاية وقت مايجي الجيش

وأما نويت اني اطلب بنتك

لما أدبها ودينها عجبني

جتلك خايف إنك ترفض

قولتلي بص هقولك يابني

أنت طلبت أعز ما ليا

شكلك طيب وابن حلال

لكن قبل ما اوافق لازم آخد منك عهد رجال

مش هطلب منك عربية ولا شبكة ومهر وخلخال

ولا شقة على البحر وفيلا بنتي ما اكيلهاش بالمال..

والليلة جينا بالفرحة وعروسة في احلى طرحة

نورها يملى المكان

ضحكتها فيها أخلاق ودين

مقدرش أوصف ادبها ولا جمالها في حجابها

آه ملاك مش إنسان

تعويض يا ناس صبر السنين

عايزك تعرف معنى قرارك من دلوقتي هتبقا اتنين

إنسان هيشاركك مشوارك وهتاخد من عمره سنين

حتى حماتي كمان شيلاني

ديمًا جنبي ثانية بثانية

بكلامها الطيب سنداني

كانت فعلًا أمي التانية

أنا ما اخترتش بنت جميلة

يعني مجرد لبس وشكل

أنا نقيتها ملاك من الجنة

عقل وطيبة وعزوة أهل)

مالت هي لتصرخ بأذنه حتى يسمعها:

-أنت لم تختارني، لا تعش في هذا الوهم.

رفع حاجبه وسألها بدهشةٍ:

-ومَن اختارك إن لم أفعل؟ هل عذبوني لأرضى بكِ؟

-لا يهم، المهم أننا معًا الآن.

قالتها بشقاوة ليقبل هو وجنتها بقوة وكأي عريسٍ يحترم نفسه أحاط بها ورفعها من على الأرض ليدور بها عدة دورات وسط صيحات الجميع الحماسيةز

***

في وقتٍ متأخر:

وقف (سيف) و(ناردين) أسفل البناية الموجود بها شقتهما ينظران لأهلهما بعيون متسعة فقد كانوا يغنون وكأن بينهما منافسة شديدة؛ فبدأت والدته وخالته ونساء عائلته يغنين بحماس وهن يصفقن سعيدات بانضمام (ناردين) لعائلتهن:

(خدناها ..خدناها ..

طلبناها م الصيف الماضي.. وأبوها ما كنش راضي..

وعلشنها بعنا الأراضي.. الحلوة اللي كسبناها..

خدناها بالملايين.. وهما ما كنوش راضيين..

علشنها بعنا الفدادين.. الحلوة اللي كسبناها.)

وبالطبع لم يصمت نساء عائلة (ناردين) وأجابوهن ضاحكات وهن يصفقن أيضًا

(اوعيله يابت اوعيله.. الضابط يبقي زميله...

اوعالها يا واد اوعالها.. ده العمدة يبقي خالها...)

مال (سيف) على أذن (ناردين) يهمس لها مصعوقًا:

-ما الذي يحدث هنا بحق الله؟!! لقد فضحونا في الشارع.

وضعت يدها على وجهها بحرجٍ هامسة له وهي تتمنى أن تنتهي هذه الفقرة.

-هذه أغنية شعبية قديمةن يبدو أنهن سيبقون هنا لفترة طويلةن ليتنا أتينا من دون زفة وتجنبنا هذه الفضيحة.

قهقه (سيف) رغمًا عنه قائلًا:

-لا بأس حبيبتي، هذه الليلة لن تتكرر، ليفرحوا قليلًا.

نظرت له مبتسمةً لقد قال حبيبتي بصدقٍ هذه المرة وبعفوية شديدةن أمسكت بذراعه تلتصق به أكثر وقد شعرت بالإرهاق يغزوها؛ لقد استيقظت في السادسة صباحًا وتشعر الآن وكأنها ستسقط من التعب بعد كل هذا.

****

أروع ما قد يبدأ به اثنان حياتهما هو ركعتين لله ليطلبا منه التوفيق والسعادة لباقي العمر، وهذا ما فعلاه كعادة للمسلمين ليلة الزفاف، فوقف هو أمامها مكبرًا ووقفت هي خلفه باسدال الصلاة وحين انتهيا جلس (سيف) بجانبها مبتسمًا ووضع يده على رأسها مرددًا الدعاء الشهير:

(اللهم إني أسألك خيرها وخير ما جَبَلْتها عليه، وأعوذ بك من شرها وشر ما جَبَلْتها عليه)

تشتت نظرات (ناردين) فجأة شاعرة ببوادر ضيق في التنفس ورغبة شديدة في البكاء من دون سببٍ واضح.

-ماذا بكِ؟

سألها بحذرٍ لتدمع عيناها بسرعة أمام نظراته المتفهمة رغم التسلية:

-أتريدين تناول الطعام؟

سأل باهتمامٍ لتجيبه بلهفة شديدة:

-نعمن أنا جائعة للغاية.

نهض من على الأرض وأمسك بذراعها يرفعها هي الأخرى قائلًا:

-اخلعي الاسدال والحقي بي، سأرى ماذا يمكننا أن نأكل من تلك الوليمة التي بالخارجز

هزت رأسها ببطءٍ فتركها مغادرًا الغرفة تاركًا لها مساحة تتنفس بها لتخلع هي اسدالها وتبقى بمنامة رقيقة أظهرت رشاقتها رغم احتشامها، ورغم توترها إلا أنها لحقت به فقد كانت جائعة حقًا.

وجدته يقف أمام منضدة الطعام الموجودة بالمطبخ يتناول شيئًا ما فهتفت به بغيظٍ:

-لماذا لم تنتظرني؟

شهق مجفلًا ليسعل وقد توقف الطعام في حلقه فاقتربت منه بسرعة تضرب على ظهره بقوة جعلته ينظر لها متفاجئًا من ضربتها لتتحدث قائلة ببراءة:

-أحاول مساعدتك.

-أنا بخير يا جبارة.

قالها ضاحكًا فابتعدت هي لتجلس على أحد مقاعد الطاولة ويجلس هو بجانبها قائلًا بتحذير:

-إياكِ ولمس ورق العنب، هذه ملكية خاصة.

-وأنت لا تلمس المعكرونة بالبشاميل.

مد يده يصافحها قائلًا:

-اتفقنا.

صافحته ضاحكة ثم بدآ يتناولان الطعام وسط مزحات (سيف) التي بددت الكثير من قلقها؛ لقد قرر ألا يلمسها اليوم، لن يفعل وهما مرهقان لهذا الحد وجائعان بالإضافة لتوتر (ناردين) التي ستبقى معه لأول مرة بمفردها في منزله، هذه الليلة ليست مقدسة لتلك الدرجة كما يظن البعض، كل ما عليه فعله هو جعل ذكرتهما الأولى مميزة من دون رعبٍ يوترها ولا تعب يقلل من شأنه.

-سيف.

نادته بخفوتٍ شديد فنظر لها باهتمامٍ ليراقب كيف تخضبت وجنتيها وهي تتحدث بحرجٍ شديد.

-أتعلم أنني استيقظت اليوم في السادسة صباحًا؟

-لقد أخبرتِني نعم.

قالها مدعيًا الغباء لتكمل هي ببطءٍ علّه يفهمها:

-والوقت تأخر للغاية الآن.

-أتريدين النوم يا ناردين؟

سأل بصدمة مصطنعة لتضع هي يدها النظيفة على وجهها تخفيه بحرجٍ ثم بررت له:

-أنا متعبة للغاية يا سيف، لقد فعلت الكثير اليوم، ولا أستطع رفع قدمي حتى من على الأرض.

-لا ترفعيها حبيبتي، أنا سأحملك لغرفتنا كالأميرة.

قالها ببراءة لتهتف بسرعة.

-لا تفعل، أنا يمكنني السير لا تقلق.

لم يزد الأمر وضحك قائلًا ببساطة:

-يمكنك النوم ناردين، ليس لدي مانع.

-حقًا؟

سألت بأملٍ ليهز رأسه مؤكدًا فابتسمت باتساعٍ قائلةً بحبٍ شديد:

-أنت رائع يا سيف.

-لو قررتِ عدم النوم ستدركين أن لديّ المزيد من الروعة صدقيني.

قالها بعبثٍ فضحكت رغمًا عنها ونهضت قائلة قبل أن يغير رأيه:

-سأغسل يدي وأنام، ماذا ستفعل أنت؟

-سأبكي على الأطلال.

قالها بملامح بائسة فقهقهت بصخبٍ جعله يعيد النظر في أمر السماح لها بالنوم.

***

بعد ثلاثة أيام:

جلس أمام الشاشة المسطحة الكبيرة يشاهد أحد مباريات كرة القدم وجسده بالكامل مشتد بقلقٍ جم من أن يخسروا هذه المباراة في الدقائق الأخيرة، وبجانبه جلست (ناردين) تشاهد أحد حلقات المسلسل الأسبوعية على هاتفها غير مهتمة بالمباراة قدر اهتمامها بالفوز ليسعد زوجها الذي على ما يبدو يراهن بحياته على كرة بين أقدام اللاعبين، بطرف عينه نظر لها ليجدها ممسكة بهاتفها بتركيزٍ شديد ممسكة بكوب من العصير بيدها تشرب منه، لا يدري أيركز مع المباراة المهمة أم معها؟ تلك الجاحدة التي ستصيبه بالجنون بتهربها منه، لقد جعلته يعض أصابعه من الندم؛ لأنه تركها تلك الليلة وها هي تتهرب منه منذ يومين بالنوم أو أي عذرٍ غير صريح،

لم تقل لا ولكنها لم تعطه أي فرصة أيضًا، الشيء الجيد الوحيد هو اعتيادها عليه بشكلٍ كبير في فترة قصيرة؛ فأصبحت تتحدث براحة أكبر كعادتها من دون توتر وترتدي ما ترتاح به دون حشمة تخنقها وتخنقه.

-لماذا لم تجلبي لي عصير؟

سألها بغيظٍ فانتبهت له قائلة:

-ظننتك لا تريد شيئًا يشغلك عن المباراة، سأسكب لك الآن.

أمسك بها قبل أن تنهض قائلًا بسرعة وهو يهتم بالمباراة من جديد.

-لا داعي.

وقبل أن تتحدث أخذ كأسها بتسلط يشرب منه فنظرت له بغيظٍ شديد ولكنها لم تعلق، ستقتله بعد انتهاء المباراة حتى لا يفوته شيء الآن. أمسكت بهاتفها من جديدٍ وعادت لمشاهدة المسلسل وبعد دقائق وجدت نفسها ترتفع من على الأريكة بسرعة وتوشك على السقوط على الأرض حين قفز (سيف) صائحًا بحماس بسبب حصول فريقه على هدف، شهقت بقوة محاولة التقاط أنفاسها من

المفاجأة لتجده يميل عليها فجأة دون أن يعطيها أي فرصة للاستيعاب ويحملها صارخًا بالفوز لتهتف هي به مذعورة:

-هل مسك جن أم ماذا؟

-لقد فزنا!!!!!!.

صرخ بها سعيدًا وهو يدور حول الأريكة بها.

-لم تفز بجائزة نوبل يا أبله، أنزلني.

هتفت به ضاحكة رغمًا عنها فأنزلها هو لتعدل ثيابها وتبتعد خطوة حتى تأخذ هاتفها ولكنه أمسك بها بسرعة سائلًا بلهجة شريرة:

-إلى أين؟

أشارت للهاتف الموجود على الأرض دون أن تنطق وقد شعرت من نظرته بأنه يوشك على فعل شيء لن يعجبها، وبالفعل حاصر خصرها بذراعه قائلًا بسخرية:

-كل هذه المدة إهانة لكرامتي والله، لابد أن ننهي مباراتنا الخاصة وأفوز وبعدها نحتفل بالفوز بنفس الطريقة.

-ماذا تقول بحق الله؟

سألت باستنكارٍ فلم يتأخر وأفهمها بطريقة فعالة مقتنصًا شفتيها بلهفة طالت ثلاثة أيامٍ ورغبة اشتعلت ولن تنطفئ سوى بين ذراعيها، وهي ولدهشته الشديدة لم تعترض ولم تبتعد، لم يصدر عنها سوى رجفة مفاجأة تبعها استجابة خجولة رغم الثقة، بطيئة رغم اللهفة وناعمة رغم الحرارة.

قبلتها الأولى تحمل رائحة الجنة وطعم النعيم، لم تسمح له بلمسها بأي شكل من قبل، حتى ولو مجرد قبلة صغيرة وقد كان لديها نوع من الرعب غير المبرر من فتاة بشخصيتها لا تخشى تلك الأمور؛ هي التي انتظرت كثيرًا تلك اللحظة لم تتحرج من الاستمتاع بها الآن، لطالما كانت رغبتها تلك واضحة وجرأتها معروفة وسط صديقاتها رغم احترامها في الكثير من الأمور، ولكن هذا الأمر لم تعتبره قلة حياء مطلقًا وربما ما أقنعها بهذه الفكرة وجعلها تراه شيئًا طبيعيًا في الحياة هي الروايات الكثيرة التي تقرأها.

لحظة، اثنتان، ثلاثة وشعرت به يسحبها تجاه غرفتهما ولم يكلف نفسه حتى إغلاق التلفاز الذي يتعالى صوته بصيحات الجماهير

والمعلقين على المباراة وكأنهم يشجعونه هو، لتبدأ ليلتهما الأولى في عالم لم يخطُ أحد منهما بداخله من قبل.

***

الوقت الحالي:

غرفة المستشفى:

كعادتهما سحبتهما الذكريات للماضي فتحدثا دون مللٍ حتى وصلا لهذه النقطة وهنا ابتسم (سيف) بعبثٍ لا يليق بسنوات عمره قائلًا:

-أتذكرين ليلة زفافنا كانت حافلة.

ابتسمت (ناردين) وأجابت بخفوت متعب:

-لقد كنت وقحًا بشكل أثار فزعي وقتهان كلما تذكرت الأمر شعرت بالرغبة في صفعك.

-تذكري يا غالية فلم يبقَ لنا سوى الذكرى ونحن في هذا العمر.

قالها ضاحكًا بحشرجة لتضحك هي الأخرى قائلة بحاجب مرفوع

-أنا مازلت صغيرة، تحدث عن نفسك.

-انظري لحالك يا امرأة، أنتِ بالكاد تستطيعين الجلوس!

قالها يغيظها فهتفت به بغضبٍ:

-هل بقيت معي لتجلطني يا سيف؟

-أبعد الله عنكِ كل شر يا غاليتي، ليت كل ما أصابك أصابني أنا بدلًا منكِ.

قالها صادقًا لتربِّت هي على يده بمحبة داعية له بدوام الصحة قبل أن تخبره بمزيد من الذكريات عن بداية زواجهما وكيف تحملا الكثير ليستطيعا العيش معًا.

-أول شجار بيننا أتتذكرينه؟

-لدينا الملايين ولكني لا أذكر أولهم، ذكرني!

تنهد قائلًا وهو يترحم على والدته في سره:

-وقتها تركت لكِ المنزل وذهبت لأمي، لا أذكر سبب الشجار الآن ولكني أذكر سبب التصالح.

-ماذا كان السبب؟

سألت مبتسمة ليشرد (سيف) متذكرًا وجه والدته الهادئ وهي تخبره بحديث الرسول صل الله عليه وسلم: (اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ، فَإِنَّ المَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلَعٍ، وَإِنَّ أَعْوَجَ شَيْءٍ فِي الضِّلَعِ أَعْلاَهُ، فَإِنْ ذَهَبْتَ

تُقِيمُهُ كَسَرْتَهُ، وَإِنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجًا، فَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ) وقتها قالت له الكثير وكيف أن النساء تختلف عن الرجال في كل شيء وأن مجرد حدث بسيط من الممكن أن يكون عظيمًا لهن، أخبرته ألا يحاول تغيير ما يكرهه في (ناردين) بالقوة حتى لا تسوء أكثر، وأن عليه معاملتها برفق ووقتها عاد لمنزله ليعتذر ل(ناردين) رغم أنه لم يخطئ بشيءٍ.

ابتسمت (ناردين) ودعت لأمها الثانية بالرحمة ثم همست له:

-أتذكر ذلك اليوم عندما كنت أعاني من ظروفي الشهرية وأنت بقيت بجانبي تحتضنني بعد أن جلبت لي مشروبًا دافئًا؟

عقد (سيف) حاجبه وأجاب بتردد:

-أي مرة؟ أنا أفعل هذا دومًا.

ابتسمت بتقدير، نعم، فهو دومًا يزيد من جرعة الحنان لها في هذه الفترة ويعتني بها أكثر من اللازم، لا تدري إن كان السبب وجود شقيقتين له وشاهدهما كيف يتألمان؟ أم لأنه يعرف السبب العلمي للألم ويدرك مقداره؟ ولكن أول مرة فعلها كانت منبهرة به رغم حرجها الشديد منه وشعرت بأنه يضع قواعد ثابته لحبه في قلبها.

-لقد كنت دومًا ونعم الزوج لي يا سيف.

قالتها بصدقٍ ليسألها بخشونة:

-كنت؟!! أنا مازلت زوجك يا ناردين، لم أمت بعد.

قهقهت مرة أخرى كما فعلت طوال الليل معه وحديثهما هذا يخفف عنها مرضها، ثم حدثته من جديد:

-كل ما حدث بيننا في بداية الزواج في كفة ويوم جلبت رجال عائلتك من أجلي في كفة أخرى.

-أنا أذكر هذا، لقد كان حدثًا تاريخيًا.

قالها ملعبًا حاجبيه لتبتسم هي بشرود وتتذكر تفاصيل ذلك اليوم وقد كان مر على زواجها ثلاثة أشهر وقتها:

كانت زوجة عمه قد أتت هي وبناتها في زيارة لهما ولم تكن (ناردين) تعرف أنها أتت، ف(سيف) من استقبلها وجلس معها، أما هي فكانت تأخذ حمامها وتأخرت للغاية في الداخل كعادتها مما أشعر (سيف) بالحرج والضيق، وجدته يفتح عليها باب الحمام دون إذن كعادته الغليظة لتصرخ به بغضبٍ:

-ألن تتعلم طرق الأبواب أبدًا؟ هذا حمام يا سيف وليس غرفة النوم.

-ما الذي تفعلينه كل هذه المدة بالداخل بحق الله؟ لقد باش جلدك.

-أعتني بنفسي من أجلك، هل هذا جزائي؟

قالتها ببراءة ليزفر هو قائلًا بعجلٍ:

-أخرجي حالًا وارتدي شيئًا مناسبًا؛ زوجة عمي وبناته في الخارج وعليكِ مقابلتهن.

-لماذا لم يتصلوا قبلها؟

سألت بدهشة فأجابها بضيقٍ:

-كعادتها، أنا لا أحب هذه المرأة مطلقًا؛ إنها عقربة تسمم العائلة في كل تجمع ولا أدري ما الذي أتى بها.

-سأخرج حالًا لا داعي للضيق.

قالتها وهي تغلق صنبور الاستحمام ليتأملها هو للحظات بتركيزٍ فهتفت ضاحكة:

-أتريد الدخول؟

-لمَ تتحدثين بوقاحة في ظروف غير مناسبة؟

سأل بغيظٍ فشهقت قائلة ببراءة مصطنعة:

-أين الوقاحة لا أفهم؟ أنا أسألك إن كنت بحاجة لقضاء حاجتك حتى أخرج بشكل أسرع.

جز على أسنانه وخرج صافقًا الباب بعنفٍ جعلها تضحك بشماتة مدركة أنه يلعن زوجة عمه الآن. كانت الزيارة عجيبة وتحملت (ناردين) المرأة بشق الأنفس وقد كانت تنتقد كل شيء حتى العصير الذي قدمته لها، قالت أنه بلا طعم فتكفل (سيف) بالرد عليها وإخبارها أنه يحبه هكذا؛ لذلك زوجته تصنعه قليل السكر، ولكن الأمر تخطى مجرد النقد لتبدأ الوقاحة وهي تسأل عن كل شيء حتى تجرأت وسألت (سيف) باستنكارٍ عن الذي أعجبه بزوجته وجعله يترك جميع بنات العائلة، وهنا شعر ب(ناردين) مصدومة وغير قادرة على الرد وهو أيضًا لم يجد ما يقوله ليردع زوجة عمه التي تستحق الحرق حية وهذا جعلها تتطاول وتعقد مقارنة بين (ناردين) وبنات العائلة التي كانت بناتها منهن بالطبع.

في كل بيت يوجد امرأة مثلها؛ حقودة، وتعاني من النقص، وتستمتع بإحالة حياة البشر الهادئة لجحيم، ولكن الجميع يتحمل هذه المرأة حتى يأمنوا شرها، أتحدى أي أحد ألا يكون لديه واحدة مثلها في محيط عائلته.

ولكن (سيف) لم يستطع تحملها أكثر ولم تكن والدته معه لتهدئه فانفعل على المرأة وتقريبًا طردها من منزله بأكثر طريقة مهذبة استطاع التعامل بها، ثم جلس طويلًا ينظر لزوجته التي تبكي بقهرٍ شاعرة بالمهانة ولم يجد ما يقوله فاكتفى بضمها لصدره مقسمًا بداخله أن يجلب حقها وينصرها؛ بعدها بيومين قام بدعوة جميع أقاربه الرجال من الدرجة الأولى على الغداء ليسود الود بينهم، وطلب من عمه الذي كانت علاقته به سيئة أمام الرجال أن يجعل زوجته تعتذر ل(ناردين) بعد أن أخبرهم بكل شيء، ولم يرض الرجال بالذل لزوجة ابنهم التي دخلت العائلة من وقت قريب، وأمروا بالمثل مدركين سمعة زوجة عمه وقد فعلت الكثير من قبل. وحين سألوا (ناردين) إن كان هذا يرضيها أم لا أخبرتهم أن الأمر لا يستحق كل هذا ولم تقبل بأن تعتذر المرأة لها حتى لا تجعل بينهما عداوة، إن

كانت هكذا مع الجميع فستتجنبها كما يفعلون ويكفيها أن زوجها أتى بكل هؤلاء من أجلها.

***

عادت (ناردين) من ذكرياتها منتبهة ل(سيف) الذي ذبلت عيناه راغبًا في النوم فشعرت نحوه بالشفقة والكثير من الامتنان؛ لأنه تحمل كل هذا السهر والإرهاق من أجلها

-هيا لننام، أشعر بالتعب.

قالتها بحنانٍ فأومأ هو متثائبًا وخلع حذاءه ليستلقي بجانبها تاركًا السرير الآخر.

***

بعد أسبوع:

عادت (ناردين) للمنزل بعد أن تحسنت حالتها ولكن (سيف) كان يشعر بالقلق عليها رغم طمأنة الطبيب له؛ مرضها في هذا السن يكون نهاية لشيءٍ ما وهو لن يحتمل أبدًا أن يكون لها نهاية.

جلست (ناردين) في بهو منزلها الكبير وهو بجانبها يحيط بهما ابنتيهما الاثنتين وابنهما الذي تزوج منذ شهرين والأحفاد، رغمًا عنها

تعلقت عيناها بصورتها هي و(سيف) المعلقة على الحائط حيث كانا يضحكان بعفوية شديدة في جلسة التصوير، وحول تلك الصورة كان هناك العشرات من الصور لأولادهم في جميع مراحلهم العمرية، وصور لها مع الجميع حتى امتلأ الحائط بالكامل بتلك الصور.

عادت بانتباهها إليهم لتجدهم يتناقشون عمن سيبقى معها.

-سأبقى معكِ الليلة أمي.

قالتها ابنتها الكبرى لتقترح الصغرى بصدقٍ:

-سأبقى أنا؛ فزوجي ليس بالمنزل على أي حالٍ، اذهبي أنتِ لمنزلك.

تحدث أخوهما قائلًا ببديهية:

-بالطبع لن يبقى أحد غيري؛ أنا ليس لديّ ما أعتني به.

-وزوجتك تلك ما محلها من الإعراب يا عريس.

سألته شقيقته ضاحكة فنظر هو لزوجته قائلًا بعبثٍ:

-بالطبع ستبقى معي، نحن لا نستطيع النوم بعيدًا عن بعضنا.

ابتسمت زوجته بخجلٍ وعنفته ليغمز لها هو أمام الجميع مما زاد من حرجها وهنا تدخل (سيف) قائلًا بحزمٍ:

-لن يبقى أحد هنا، سيعود الجميع لمنازلهم وأنا يمكنني الاعتناء بزوجتين نحن نتفاهم جيدًا ولسنا بحاجة إليكم.

اعترض الجميع ولكن (سيف) لم يستمع لأحدٍ واكتفى بأن يشعر هو و(ناردين) بالفخر تجاه أبنائهم الذين لم يتخلوا عنهما رغم مسئولياتهم الكثيرة، كل شعورٍ رائع شعر به من أول زواجه شيء وشعوره حين علم بأنها حامل وسيكون له أولاد شيء آخر. كان عائدًا من عمله يومها وهي كانت جالسة تنتظره على مقعد أمام باب الشقة، فتح الباب ودخل فوقفت هي على الفور واقتربت منه ليشهق مجفلًا حين وجدها أمامه بهذه السرعة:

-لمَ تتعمدين دومًا إرعابي؟

سألها بغيظٍ ثم عقد حاجبيه حين انتبه لضحكتها البلهاء ونظراتها الهائمة:

-ماذا هناك؟

سأل بتوجس لتمسك هي بذراعه تهزها قليلًا فزاد توجسه ليعاود تساؤله بجدية مصطنعة:

-هل أخذتِ مسكن قوي سبب لكِ نوع من التخلف العقلي؟

-سيف!

نادته بسعادة شديدة فتنهد قائلًا بإرهاقٍ:

-أيمكنني الجلوس أولًا، يبدو أن لديكِ طلب معقد مادمتِ تبتسمين هكذا.

هزت رأسها نافية ليرفع حاجبه قائلًا:

-ألا يمكنني؟

-هناك ما أريد إخبارك به!

قالتها بلهفة ليهز رأسه قائلًا:

-هذا واضح، ماذا تريدين؟

-هل أنت مستعد؟

-نعم.

-هل أعصابك بخير؟

-الحمدلله، ماذا هناك؟

-أيمكنك فهم ما سأقوله؟

-يا ألله، يا ولي الصابرين.

قالها صارخًا بعصبية لتهتف بقوة:

-أنا حاااااامل.

للحظات لم يفهم ماذا تقصد، ثم تسارعت نبضات قلبه بإثارة حين استوعب ما قالته، مَن تلك الحامل؟ أزوجته هو؟!! هل سيصبح أبًا؟!! هل سيكون له معجزة صغيرة منه مثل باقي الخلق؟

-هل أنتِ متأكدة؟!

سألها بخفوتٍ لتهز رأسها بالإيجاب فضمها إليه ببطءٍ قائلًا بحشرجة:

-مبارك لنا حبيبتي.

-هكذا فقط؟

سألته بدهشة من عدم حماسه ليضمها أكثر قائلًا بصدقٍ:

-لا يمكن لأي كلمة أن تعبر عمّا أشعر به الآن، فلتصمتي ولا تدمري روعة هذه اللحظة.

لم تنطق بكلمة واكتفت بالبقاء ملتصقة به وعلى وجهها ابتسامة واسعة رغم خوفها من تلك التجربة الجديدة عليها. أما هو فحمد ربه على هذه الهدية ودعا أن يتم الأمر على خير ناويًا أن يخرج صدقة شكر لربه.

انتبه من ذكرياته لهم من جديد، لا يعلم ما كل هذه الذكريات هذه الأيام، يبدو أن فراغه هو و(ناردين) جعلهما يحنان للماضي حيث كانت الحياة أكثر إثارة.

-أيمكنني البقاء أنا يا جدي؟

سألت الحفيدة الأكبر والذي تحمل اسم جدتها (ناردين) ليبتسم لها (سيف) قائلًا بعشق لتلك الفتاة ذات السبعة عشر عامًا:

-بالطبع يمكنك البقاء يا روح جدك، أنتِ بالذات يمكنك فعل أي شيء.

ابتسمت الفتاة بانتصارٍ على باقي أحفاده فشعروا جميعًا بالغيظ؛ لأن (ناردين) هي المميزة دومًا عند جدها، ولمَ لا تكون وهي فرحته الأولى!

وهكذا انتهى الأمر وعاد الجميع لمنازلهم تاركين (ناردين) الصغيرة مع جدها وجدتها اللذيْن شعرا بالإرهاق، وصعدا لغرفتهما مبكرًا وبقت هي بمفردها تشاهد التلفاز، وتأكل المقرمشات المتوفرة دومًا في هذا المنزل رغم ضعف أسنان جديها، في الواقع هي تأتي لهذا المنزل كلما أرادت الاستجمام؛ فالمنزل هادئ وليس هناك ما يزعجها ولا يطلب منها أحدٌ أي شيءٍ على عكس منزلها، ولكنها أيضًا تحب جديها وترغب دومًا في البقاء معهما علّها تكون مفيدة بشيء.

***

جلسا الاثنين على مقعدين في غرفتهما يصليان قيامهما قبل النوم، وقد أصبح من الصعب أن يفعلا واقفين وحين انتهيا نهضت (ناردين) لتتحرك تجاه الفراش قائلة بتعبٍ:

-أشعر بعظام جسدي كلها تؤلمني.

نظر لها (سيف) متألمًا من أجلها، ثم تحرك ليجلس بجانبها على الفراش قائلًا بعتابٍ:

-لا أعلم لمَ خرجتِ من المشفى يا ناردين، أنتِ مازلتِ متعبة.

تأملته (ناردين) بعينين أصابهما الضعف ولكنها رأته بوضوحٍ فكم تأملته من قبل حتى حفظت تفاصيله ثم أجابته بهدوء:

-أريد البقاء في منزلي يا سيف، لا أريد الموت في غرفة باردة بعيدًا عن بيتي.

قاوم تأثره بشق الأنفس، تلك الغبية التي أصبح الحديث عن الموت مفضلًا لديها هذه الفترة وكأنها تخبره أنها ستتركه لا محالة.

-أطال الله في عمرك وجعل يومي قبل يومك حبيبتي.

قالها بتحشرج لتمسك هي بيده قائلة بابتسامة مشاكسة وأعين دامعة:

-لا تتركني في الجنة وتختار الحور العين، أنا سأكون جميلة أيضًا هناك.

-أنتِ جميلة في أي مكانٍ، وسندخلها معًا إن شاء الله.

قالها ودمعة تنحدر من عينيه رغمًا عنه وقد أصبح منعها صعبًا فربَّتت هي على صدره بمحبة قائلة:

-كفى بؤسًا اليوم، هيا لننام.

لم يجبها بل تأملها وهي تتحرك لتستلقي على الفراش وترفع الغطاء حتى صدرها كعادتها وسرعان ما كانت تذهب للنوم، فأغلق هو المصباح الجانبي للفراش ليعم الظلام الغرفة ويضمها هو إليه داعيًا ربه ألا يحرمه منها مطلقًا.

***

الخاتمة

ما هو الحب؟

أعبارة عن قبلات وكلمات معسولة؟

أم هو اهتمامٌ ومشاعر صادقة تخرج في وقت الحاجة والضعف؟

الحب يا أعزائي، ما هو إلا كتلة من المشاعر المختلطة متماسكة معًا بخيوط من المودة والرحمة.

تمسك بذاك الذي تدرك أنه سيكون سكنًا آمنًا ومحبًا لك، ولا تركض خلف المشاعر الفارغة فجملة "هل أنت بخير؟" أروع من "أحبك"؛ لأنها إثبات على الحب وليس مجرد كلمة ربما تكون غير صادقة. الحب يقاس بمدى الاهتمام وكم الحنان وليس بالمكان الذي تعرفنا على بعض به.

ليجعل الله لكلًا منكم زوجًا تسكنوا إليه وقلبًا يحتوي مشاعركم بتقدير.

***

الفهرس

المقدمة..... ٥
ما قبل البداية..... ٧
الفصل الأول ٩
قبل أكثر من أربعين عامًا..... ٩
الفصل الثاني ٤٢
الفصل الثالث..... ٧٣
الفصل الرابع ٩٠
الفصل الخامس ١٢٦
الخاتمة ١٦٦